

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ

١٧٦

التعليق على

صحيح البخاري

نغمده الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

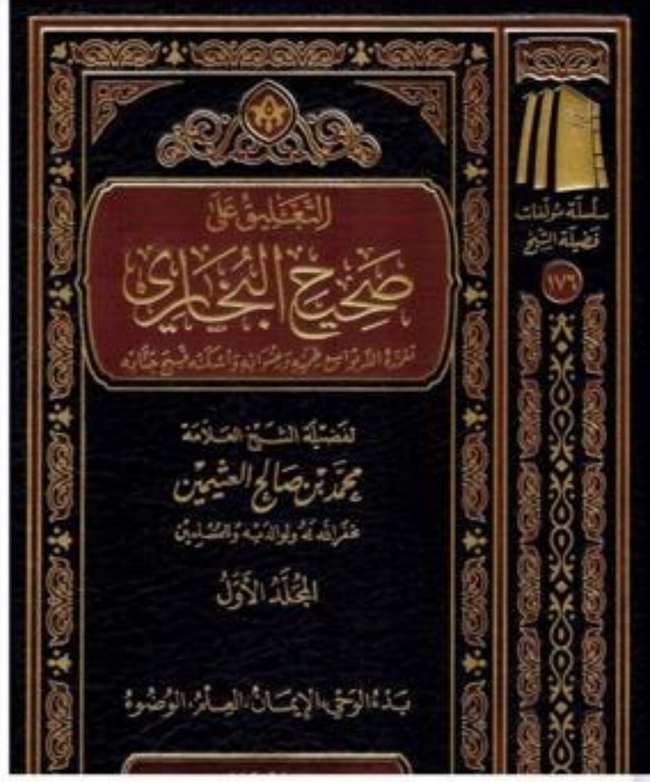
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

بدء الوحي، الإيمان، العلم، الوضوء

من إصدارات
مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

تصرفات خاطئة في الوقف



٥/ ٢٤٤

وهل يدخل في هذا الوقفِ على الذُّرِّيَّة؟

الجواب: هذا الوقفُ -في الحقيقة- ليس وقفًا مشروعًا كما ينبغي؛ ولهذا قد يُوجَد فيه أحيانًا جنَف، فتجِده يُوصي بوقفه على ذُرِّيَّته أو أولاده، مع أن له والدًا وأُمًّا وزوجةً من الورثة، فيخصُّ بهذا الوقفِ بعض ورثته، وهذا حرام، وهو مِنَ الجَوْر في الوصيَّة، وهي وصيَّة باطلة، ما لم يُجِزْها بقيَّة الورثة، بل تجد بعضهم يُصَرِّح، ويقول: أُريده على البنات، ولا يشاركهنَّ أحد، ففي هذا نظرٌ.

ثم إن كثيرًا من الأوقاف تجده يجعلها في أضحيَّة وعَشاء، وليس هذا هو البِرَّ، وإن كان لا بأسَ بالوصية بها، لكنها ليست هي البِرَّ، بل هناك أنواع من البِرِّ غيرها أفضلُ منها وأتمُّ.

ثم إنه أحيانًا يكون الوالي عليها غير عَدْل، وتضيع، ويحصل فيها من الشقاق والنزاع بين الموقوف عليهم ما هو معروف؛ ولهذا نرى في الوقت الحاضر أن الإنسان إذا أراد أن يتقرَّب إلى الله بشيء يُقَدِّمه في حياته فيكون ببناء مسجد أو كُتُب ينتفع بها المسلمون أو شيء من أعمال البِرِّ.

أمَّا الأوقاف التي تُوَقَّف على بعض الورثة فلا شَكَّ أنها جَوْر، وأن الذي يفعل هذا آثِم؛ لأن النبيَّ ﷺ نهى عن ذلك[1].

صلة الأقارب بالصدقة ونحوها من أفضل الأعمال

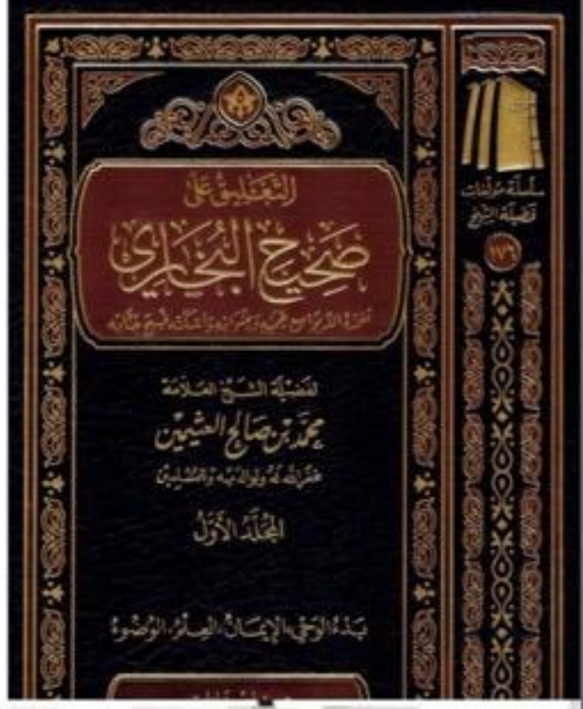


٥/ ٢٥٣

ولا شَكَّ أن صلة الأقارب من أفضل الأعمال، حتى إن النبـيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جعلها أفضلَ من العتق، لمَّا سأل إحدى أمهات المؤمنين عن خادم عندها، فذكرت أنها أعتقتها، قال: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لِأَجْرِكِ**»[1] فدلَّ ذلك على أن صلة الأرحام أفضلُ من العتق.

ولكن مع الأسف أن الناس اليـومَ -بالنسبة لصلة الأرحام- مُقَصِّرون كثيرًا، حتى إنه رُبَّما يكون بعض أقاربه فقيرًا، ويتصدَّق على الأجنبيِّ دون قريبه، وهذا ممَّا استولى به الشيطان واستحوذ به على بعض الناس.

فضل الغرس



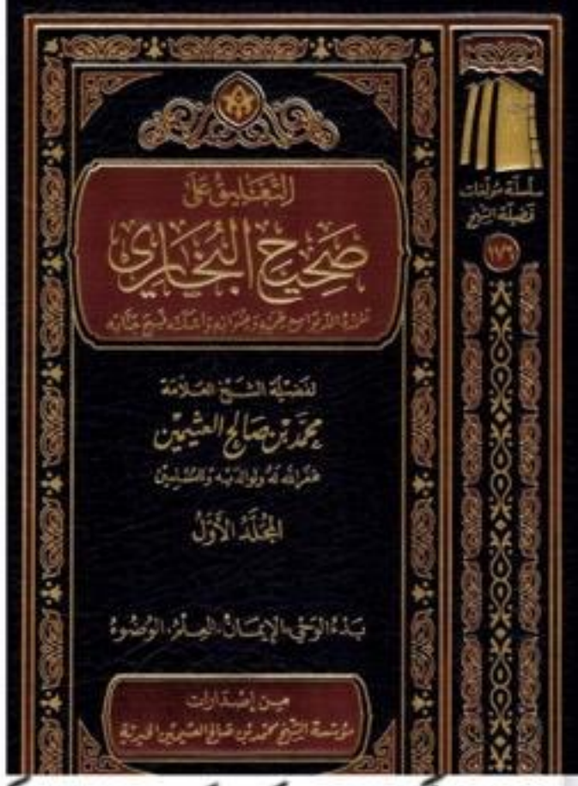
٥ / ٢٥٨

[redacted]ةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».

وهذا الحديثُ دليلٌ واضح على فضل الغرس، فإذا أكل منه طير أو إنسان أو بهيمة كان له به صدقة ولو لم يُرِدْه، كما لو مرَّ إنسان على هذه النخلةِ، وأكل منها، أو مرَّت بهيمة من حمار أو بعير أو شاة بهذا الزرعِ، وأكلت منه، ففيها أجرٌ.

وكذلك الطير، وهذا إذا كان الرجل لم يضع مخاييلَ فلا شَكَّ أنه يدخل في الحديث، وأنه يُؤْجَر على هذا؛ لأنه لم يقصد منعها، لـ[redacted]

عقوبة من اقتنى كلبًا



٥/ ٢٦٢

أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ، إِلَّا كَلْبَ حَرْثٍ، أَوْ مَاشِيَةٍ».

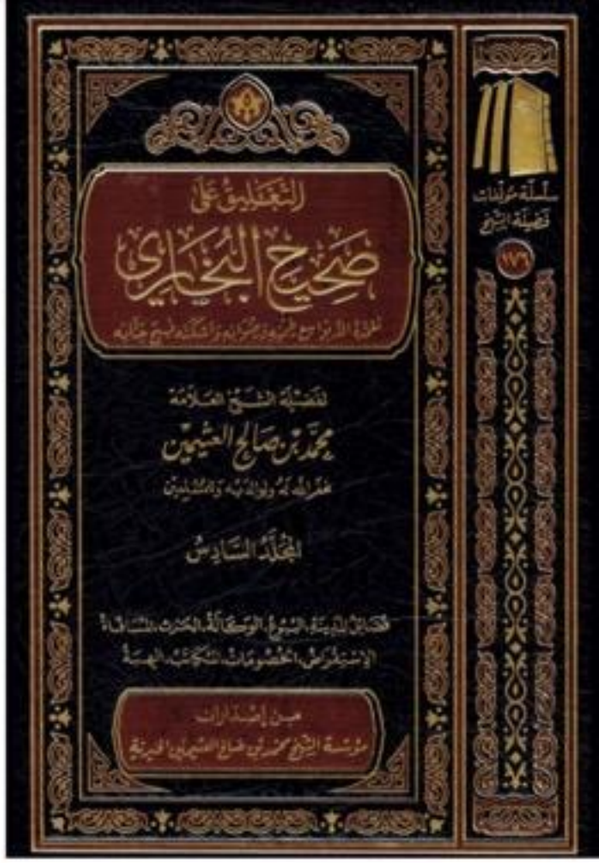
---

[١] هذا الحديثُ يدلُّ على عقوبة مَن أمسك كلبًا، والمراد بإمساكه: اقتناؤه، فإذا اقتنى الإنسان كلبًا فإنه يُعاقَب بهذا الأمرِ، وهو أنه يُقْتَطع من أجره كلَّ يوم قيراط، فقوله: «مِنْ عَمَلِهِ» أي: من عمله الصالح.

ويُسْتَثنى من ذلك ثلاثة أشياءَ تدعو الحاجة إليها، وهي: كلب الحرث، والماشية، والصيد، فهذه أباحها الشارع؛ لأن الحاجة تدعو إليها، فالحرث يكون لحماية الزرع؛ لأن الكلب يحميه، وكذلك الماشية، وأمَّا الصيد فليصطاد به الإنسان، ويتعيَّش به ممَّا يصيده.

حكم التشريح

٦/ ٤٨٧

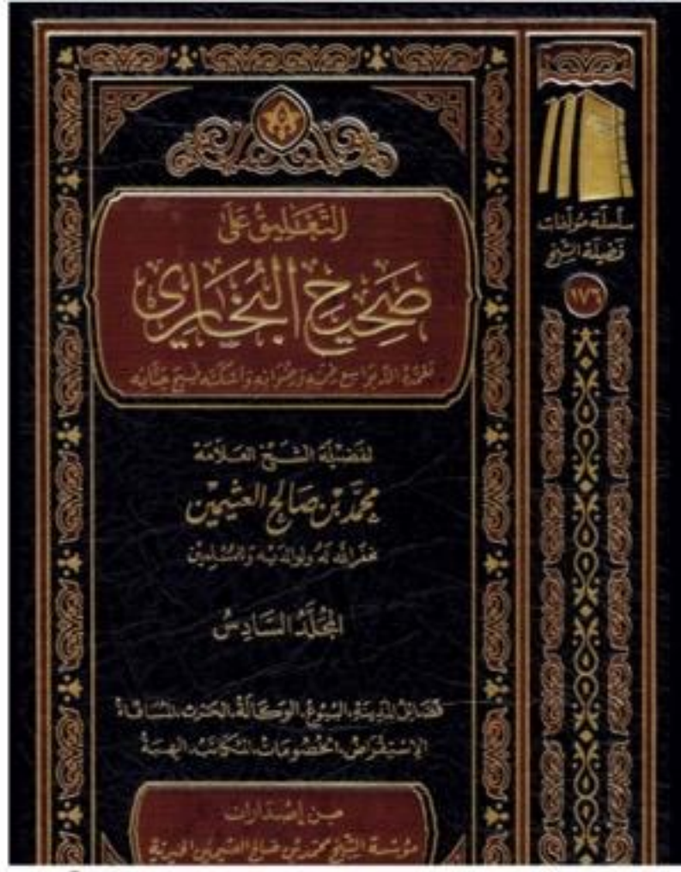


فإن قال قائل: وما حُكم التشريح؟

قلنا: إذا كان لمصلحة فلا بأسَ به، وهذا في غير الآدميِّ، أمَّا الآدميُّ فلا يجوز إلا إذا كان كافرًا حربيًّا، فهذا قد يقول قائل: إنه جائز، مع أن المسألة فيها ثقل؛ لأن الرسول ﷺ كان إذا بعث سَريَّةً يقول: «**لَا تُمَثِّلُوا**»[٢] فقد يُقال: إن قوله: «**لَا تُمَثِّلُوا**» عامٌّ، وقد يُقال: إن قوله: «**لَا تُمَثِّلُوا**» هذا في حال الحرب، وأمَّا إذا كان لمصلحتنا فهذا لا بأسَ به، وأمَّا إذا كان مسلمًا فلا يجوز بحال أن يُمَثَّل به عن طريق التشريح؛ لأن الطب إنما يجوز في حدود المباح، لا في حدود المُحَرَّم، وكذلك الذميُّ والمعاهد والمستأمن كلهم مُحتَرَمون، مثل المسلم.

ما حدّ الجار؟

٦/ ٥٦٨



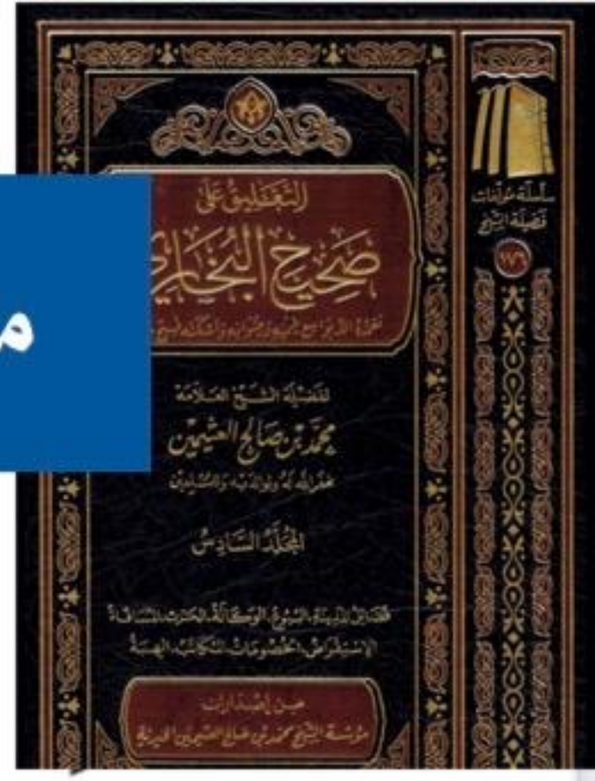
لكن ما حدُّ الجار؟

الجواب: ما عدَّه الناس عرفًا جارًا فهو جار، وقد وردت أحاديثُ ضعيفة أنه أربعون دارًا[1] ولكن هذا فيه نظر؛ لأنه لا ينطبق على العرف، ولو صحَّ الحديث لقلنا به على العين والرأس، وافق العرف أو خالفه، ووجه النظر: أنه إذا كانت قطع الأراضي كبيرةً كانت أربعون دارًا تبلغ مساحةً طويلةً بعيدةً، نعم، لو كانت القطع صغيرةً صارت أربعون دارًا قريبًا بعضها من بعض.

ثم اعلَمْ أنه كلما كان الجار أقربَ كان أحقَّ، لكن هل المُعْتَبر: القرب في البناء، أو القرب بالباب؟

الجواب: المُعْتَبر القرب بالباب؛ لقول النبيِّ ﷺ: «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا**»[2] فلو فُرِضَ أن أحدهما ملاصق لك، لكن بابه بعيد عن بابك، والثاني ليس ملاصقًا لك، لكنه أقربُ بابًا، فمقتضى الحديث: أنك تُقَدِّم الأقرب بابًا، وظاهره أيضًا: ولو فصل بينهما شارع، إلا إن كان الأبعد هنا أقربَ في النسَب، فيكون له حقُّ القرابة، فيُبْدَأ به لقرابته.

معنى قوله ﷺ: " قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ"



٥٩٠ /٦

مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ»[١].

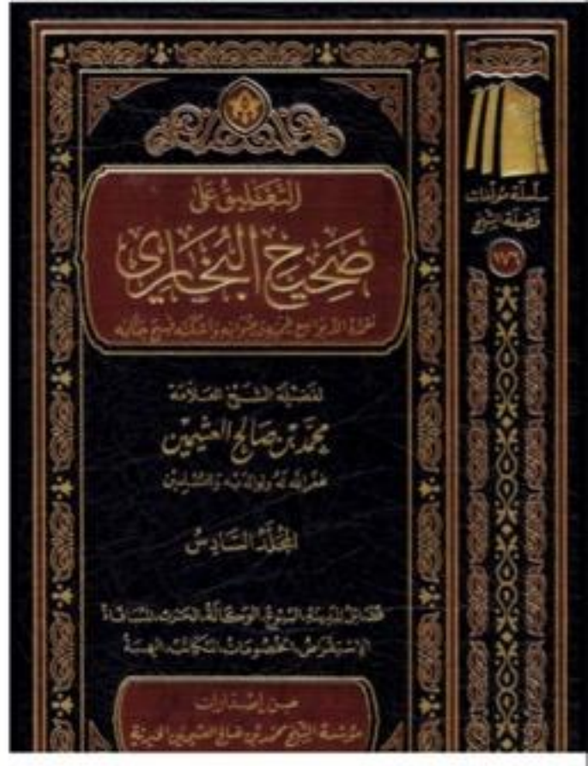
---

[١] قول النبيِّ ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ» ليس المراد: القتال بالسيف، ولكن المراد: المضاربة، ومنه: قوله ﷺ: «فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلْيَدْفَعْهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ»(١) أي: فليُضاربه.

وقوله: «فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ» يعني: في مُضاربته، وهذا في ضَرْب العبد أو الولد، بل حتى البهيمة لا تُضْرَب مع وجهها، خلافًا لِمَا يفعله بعض الناس، فهذا الحديثُ أعمُّ من الترجمة.

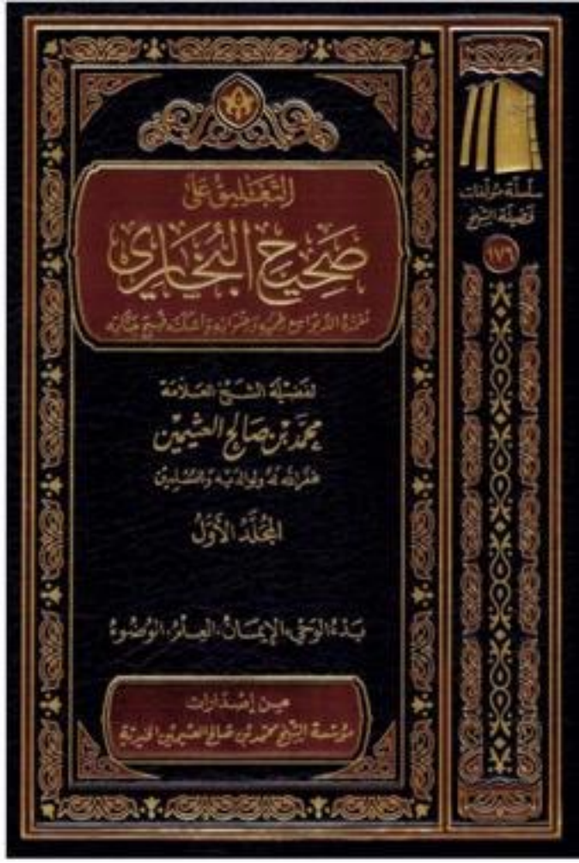
ومن ذلك: الصفع على الوجه، فإن هذا نهى عنه الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ وذلك لأن أشرفَ ما في الإنسان وجهُه؛ ولهذا تجد الإنسان يذلُّ إذا ضُرِبَ وجهه أكثرَ ممَّا يذلُّ إذا ضُرِبَ ظهره؛ لأن هذا أشرفُ أعضائه؛ ولذلك نهى النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن يضرب على الوجه، وقال: «فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ».

الإحسان للوالدين يكون بالقول والفعل



والإحسان إلى الوالدين يكون بالقول، ويكون بالفِعل، ففي القول يقول الله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء:٢٣] فكلُّ قول كريم يحصل به السرور والانشراح كما يحصل ببذل المال فهذا هو الذي يُقال للوالدين، وضدُّه: القول الجاف، مثل الريح العقيم الذي لا خيرَ فيه.

وأمَّا الإحسان بالفعل فإنه يشمل الإحسان بالمال، والإحسان بالبدن؛ ولهذا كما يجب عليك الإنفاقُ على والدَيْك يجب عليك خدمةُ والدَيْك بالمعروف، أي: الإحسان البدني والمالي، وهذا واجب؛ لأن الله عَزَّوَجَلَّ قال: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ وفي هذا: دليلٌ على عِظَم حق الوالدين؛ لأن الله تعالى جعله يَلي حقَّه.

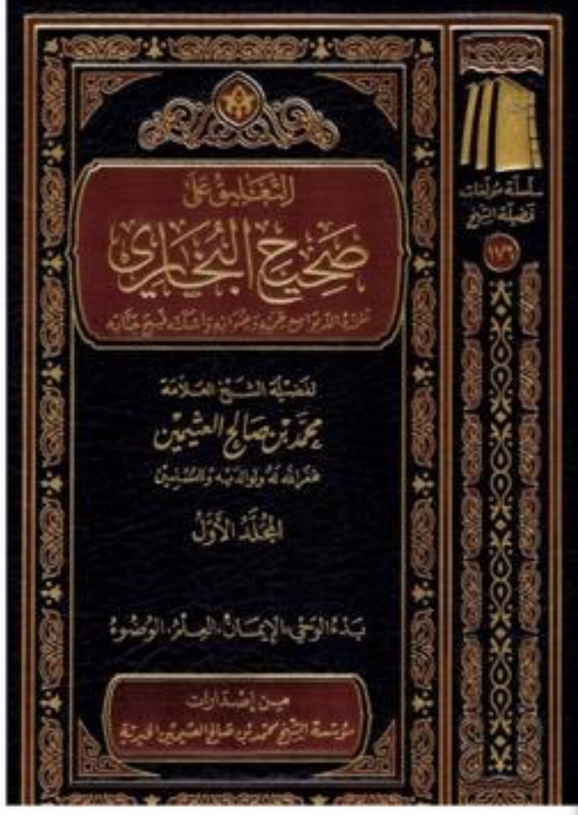


هل يُشرع للإنسان أن يتقصد سكنى المدينة؟

٥/ ٢٢

فإن قال قائل: هل يُشْرَع للإنسان أن يتقصَّد سكنى المدينة؟

قلنا: أمَّا إذا قصد السُّكنى فيها؛ لأن الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أمر بالسكنى فيها، وقال: «المَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» فنعم يُشْرَع، وأمَّا إن كان لأجل أن يموت فيها فإن الإنسان إذا سكن في أرض فإنه لا يتيقَّن أنه يموت فيها، بل قد تبدو له حاجة، ويموت في الأرض التي أراد الله عَزَّوَجَلَّ.



من أخبار المسيح الدجال

٥/ ٢٦

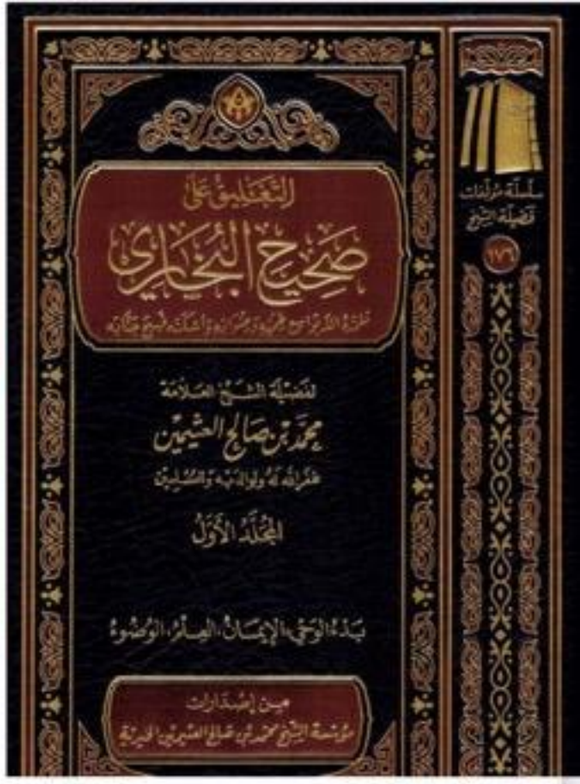
[١] المسيح الدجال هو الذي يأتي في آخر الزمان، ويدَّعي أنه إله، ويتبعه مَن يتبعه من الناس، وأعطاه الله عَزَّوَجَلَّ من الآيات التي فيها فِتَن ما تحصل بها الفتن، كأن يأمر السماء فتُمطر، والأرض فتُنبت، وهذا الرجل يبقى في الأرض أربعين يومًا، اليوم الأوَّل كسنة، والثاني كشهر، والثالث كأُسبوع، وبقيَّة الأيام كأيامنا.

ولـمَّا حدَّث النبي صلَّى اللهُ عَليهِ وعَلى آلهِ وَسلَّم بهذا الحديث سأله الصحابة، وقالوا: يا رسول الله! هذا اليوم الذي كسنة هل تكفينا فيه صلاة يوم واحد؟ قال: «**لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ**»[1]، وهذا يدل على حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على العلم، وعلى تعمُّقهم فيه، وأن كل شيء يمكن أن يحتاجوا إليه فلا بُدَّ أن يسألوا عنه.

وفيه **أيضًا**: دليل على أن سير الشمس بإذن الله عَزَّوَجَلَّ، فإنها تبقى في اليوم الأول سنةً كاملةً في الأفق، أي: مدة اثني عشر شهرًا.

المتكفل بتوزيع الزكاة أو الصدقة له مثل أجر صاحبها إذا كان أمينًا

٢٥٥ /٥



عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «الخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُنْفِقُ -وَرُبَّمَا قَالَ: الَّذِي يُعْطِي- مَا أُمِرَ بِهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبًا نَفْسُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ بِهِ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقَيْنِ»[١].

---

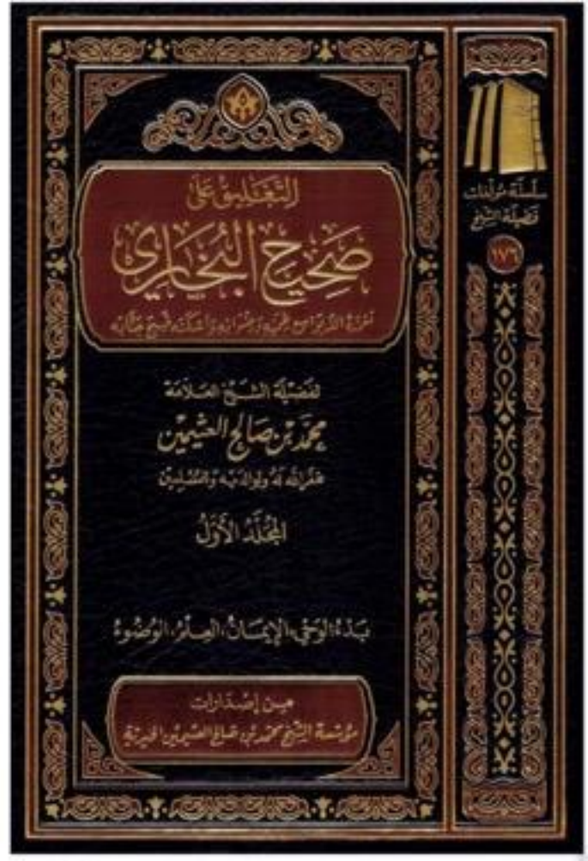
[١] قوله: «الْمُتَصَدِّقَيْنِ» يصحُّ أيضًا: «الْمُتَصَدِّقِينَ».

والشاهد من هذا: قوله: «**الَّذِي يُنْفِقُ -وَرُبَّمَا قَالَ: الَّذِي يُعْطِي- مَا أُمِرَ بِهِ**» وهذا في المُوَكَّل؛ لأنه ما دام أُمِرَ به فهو مُوَكَّل، فإذا كان هذا الخازنُ أمينًا، ويُعْطِي ما أُمِرَ به، فلا يزيد ولا ينقص، فهو أحد المُتصدِّقَيْنِ، أي: أن له مثل أجر مَن وكَّله في الصدقة.

فإن لم يُؤْمَر فهل له أن يتصدَّق؟

الجواب: إن دلَّت القرينة على أن مُوَكِّله راضٍ بذلك فلا حرجَ، وإن دلَّت القرينة على أنه لم يَرْضَ فلا يجوز أن يتصدَّق، وإن لم يكن هناك قرينةٌ على هذا ولا هذا فالأصل ألَّا يتصدَّق؛ لأن المال لغيره.

الله تعالى (شكور)



٥/ ٤٧٩

صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ»[١].

---

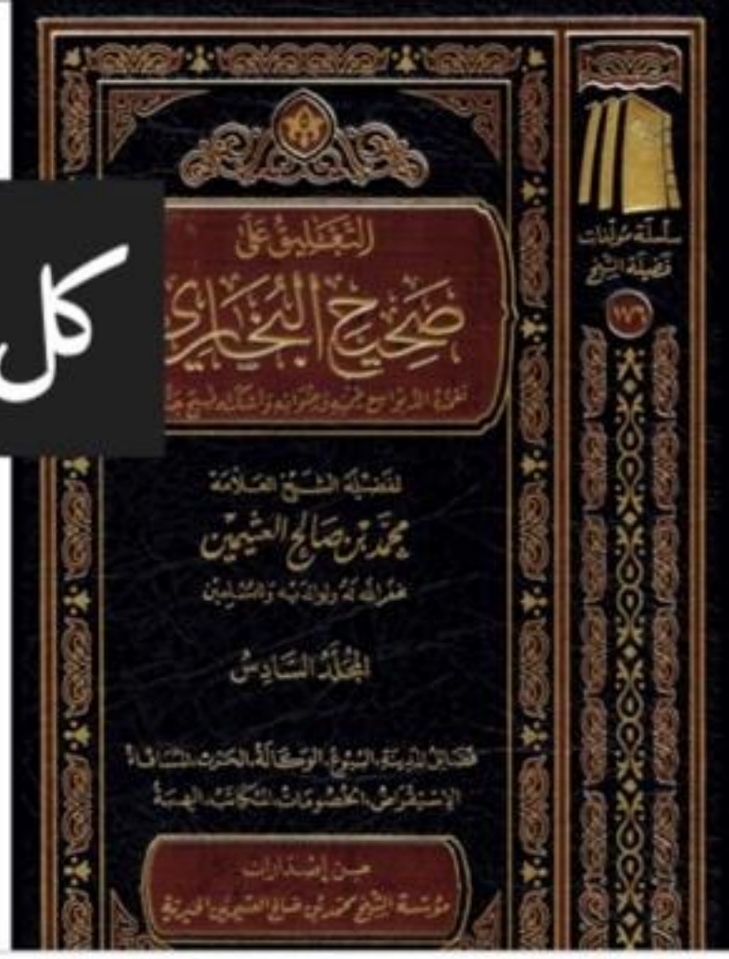
[١] إماطة الأذى عن الطريق صدقةٌ كما هو معروفٌ، ومن ثوابها: أن الله عَزَّوَجَلَّ يشكر للإنسان، ويغفر له.

وفي هذا: جواز وصف الله بالشكر، وقد وصف الله تعالى نفسه بذلك في قوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء:١٤٧] وفي قوله: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧] فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يشكر عباده الذين يستحقون الشكر في الأعمال الصالحة.

وإذا كان إماطة الأذى عن الطريق فيه هذا الأجرُ والثواب فكيف يكون مَن يضع ما يُؤذي في الطريق؟! إذا أُجِرَ على إزالة المُؤْذِي فإنه يُؤْزَر بإلقاء المُؤْذِي.

كل ما يوسوس به الإنسان في صدره معفوٌّ عنه

٦/ ٥٤٩



زُرَارَةَ بْنِ أَوْفَى، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ»[١].

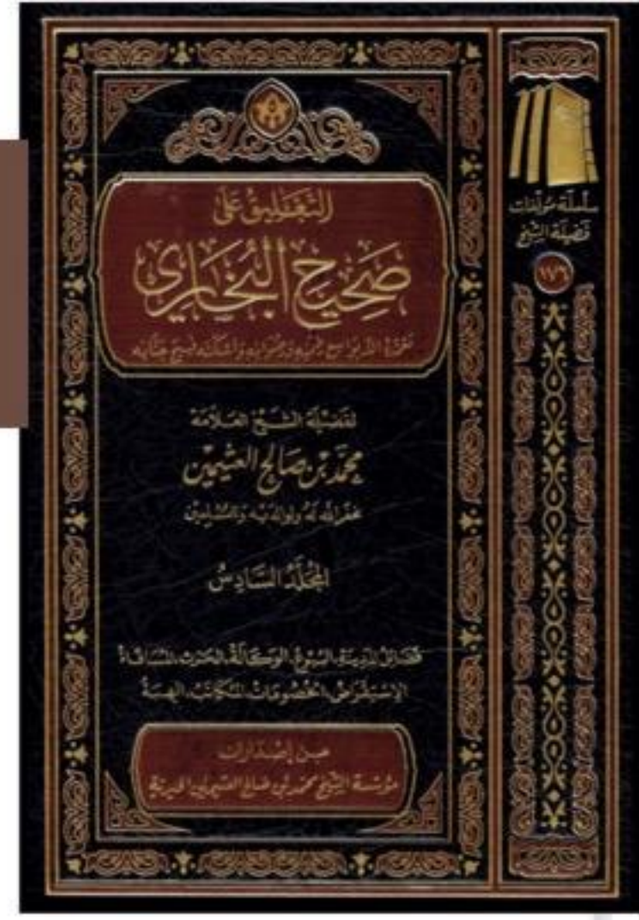
---

[١] هذا من نعمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولا يختصُّ بالطلاق والنذر والعتق، بل يشمل الإيمان أيضًا، فكلُّ ما يُوسوس به الإنسان في صدره فهو معفوٌّ عنه، حتى لو كان أعظمَ شيء؛ ولهذا شكا الصحابة إلى الرسول ﷺ أنهم يجدون في نفوسهم ما يحبُّ أن يكون الواحد حُمَمةً -أي: فحمةً محترقًا- ولا يتكلَّم به، فبيَّن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن ذلك صريح الإيمان[٢] لكن لا تعمل، ولا تتكلَّم، فإن عمل الإنسان بهذه الوسوسةِ فإنه يُحْكَم له بما تقتضيه، والعمل إمَّا عمل قلبي، وإمَّا عمل بدَني بالجوارح.

مثال عمل القلب: لمَّا وسوس له الشيطان بالشك في الإسلام رَكَن قلبه إلى هذا الأمرِ، وشكَّ في الإسلام حقيقةً، أو شكَّ في وجود الله حقيقةً، فهذا يُعْتَبر عاملًا، لا مُجَرَّدَ حديث نفس، ولو كان يُصَلِّي ويصوم ولم يترك شيئًا من الأعمال البدنية، لكن قلبه اطمأنَّ إلى ما حدَّثته به نفسه، وعمل به؛ ولهذا يقولون: إن عمل القلب هو إقرار القلب.

هل يؤاخذ الإنسان بالعين إذا خرجت منه؟

٦/ ٥٥٥



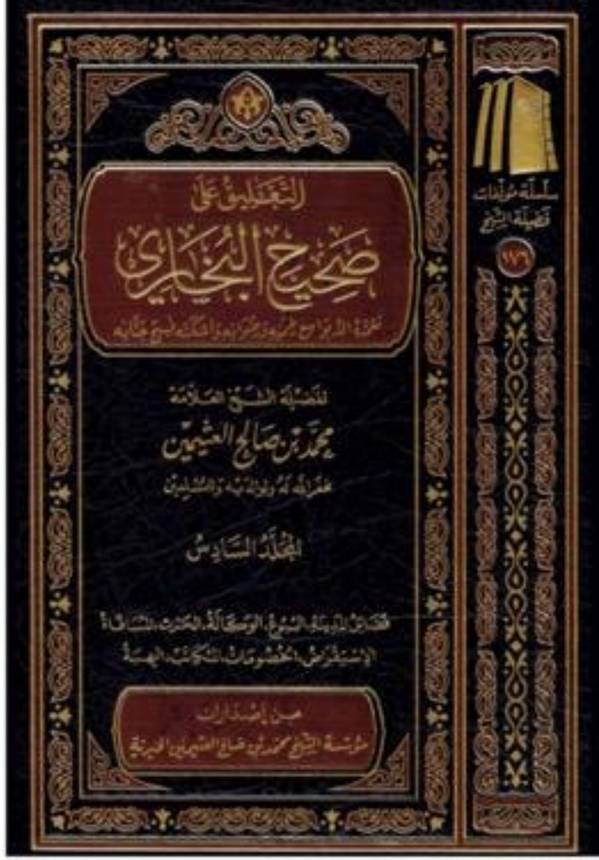
وهل يُؤاخَذ الإنسان بالعين إذا خرجت منه؟

نقول: أمَّا التي تخطر بغير اختياره فلا حرجَ عليه فيها، ولكن لها علاجًا، وهو كثرة التبريك، كلما رأى ما يُعجبه يقول: تبارك الله! بارك الله عليه! فتزول، والتبريك أَوْلَى؛ لأن الرسول ﷺ يقول: «**هَلَّا بَرَّكْتَ!**»[1] مع أن الناس يرون أن «ما شاء الله» ممَّا يدفع أثَر العين.

وأمَّا مَن يتعمَّد العين ويتقصَّدها فحُكمه معروف، مع أن العين تأثيرها في الأمرين جميعًا: فيمَن يتعمَّدها ومَن لا يتعمَّدها، فكلاهما يُؤَثِّر، لكن إذا تعمَّدها فإنه يضمن، أمَّا إذا لم يتعمَّد فلا؛ لأنها بغير اختياره، وما أرادها إطلاقًا، لكن يجب عليه = أن يُحاول أن يُعَوِّد نفسه ترك هذا الشيءِ، وهي منشؤُها الحسد كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2].

هل يؤاخذ الإنسان بالظن السيء بغيره؟

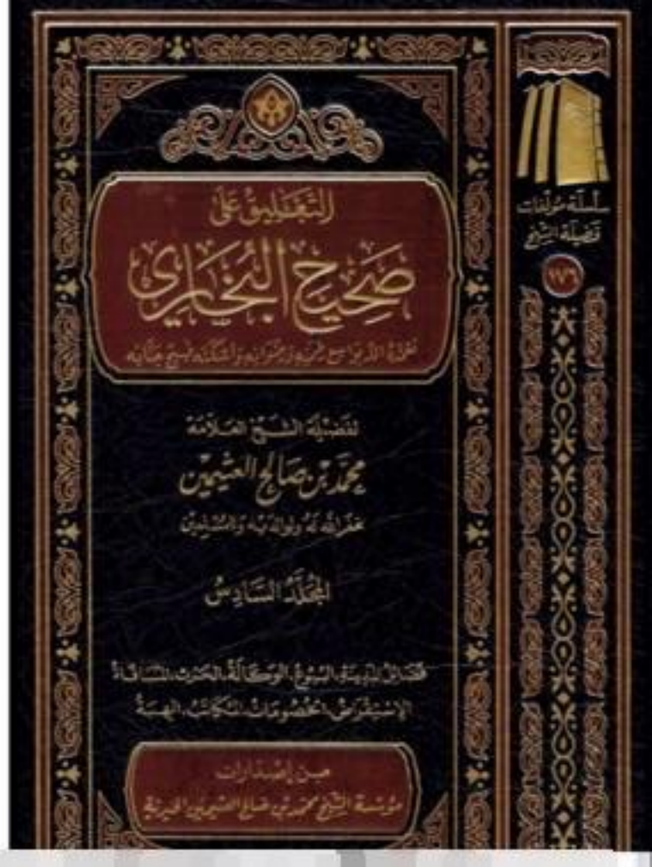
٦/ ٥٥٤



وههنا مسألة: هل يُؤاخَذ الإنسان بالظنِّ السيِّئ بغيره؟

والجواب أن نقول: هذا العملُ لا يجوز إلا إذا وُجِدَت قرائنُ؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ في القرآن: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات:١٢] ولم يقل: إن كلَّه، أو إن الظن إثم؛ لأن بعض الظن لا يكون إثمًا[٤].

قلة الطعام في بيته ﷺ



٧/ ٦٠٩

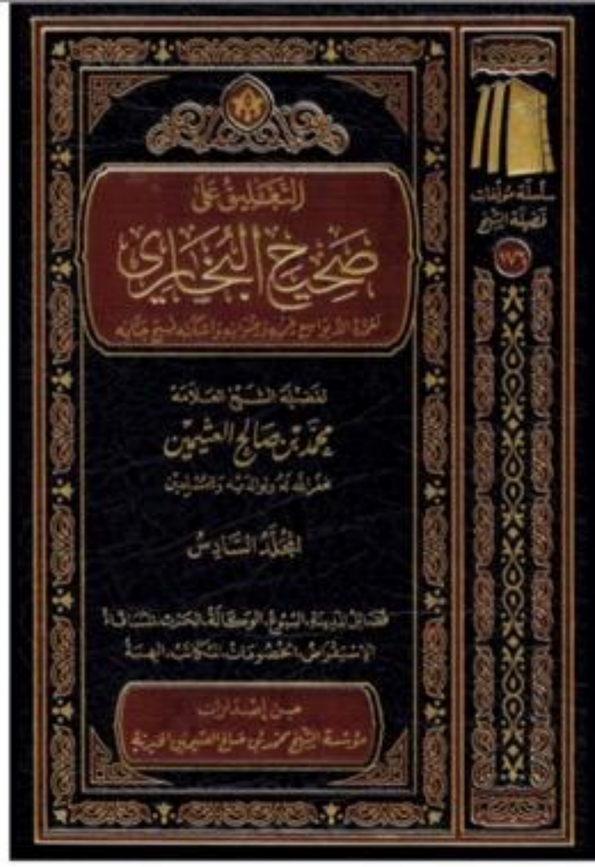
[illegible]، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ: ابْنَ أُخْتِي! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الهِلَالِ ثُمَّ الهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، فَقُلْتُ: يَا خَالَةُ! مَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتِ: الْأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ، وَالمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهِمْ، فَيَسْقِينَا[١].

---

[١] واللهِ ما نحن بخير من رسول الله ﷺ، وما حَجَبَ الله هذه النِّعَمَ عن رسوله ﷺ وادَّخرها لنا لأننا خير منه، فنحن تُوقَد النار في أبياتنا في اليوم ثلاث مرَّات على الأقل، والرسول ﷺ يبقى ثلاثة أهلَّة يُنْظَرن في شهرين ما أُوقد في بيته نار، وإنما طعامهم الأسودان: التمر، والماء.

ثم مع ذلك إذا أُوقدت النار، وقُدِّم الطعام، نجد على السفرة أنواعًا مطبوخةً وأنواعًا غير مطبوخة، ولو أن الإنسان إذا قُدِّم غداؤه بين يديه، تأمَّل ونظر أن الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يبقى شهرين، ويدخل الثالث، وهو لا يأكل إلا التمر والماء! فنسأل الله ألَّا يجعل هذا استدراجًا، فإننا نخشى من هذه النِّعَمِ المتوافرة الكثيرة.

من هديه ﷺ قبول هبة القليل والإجابة إليه



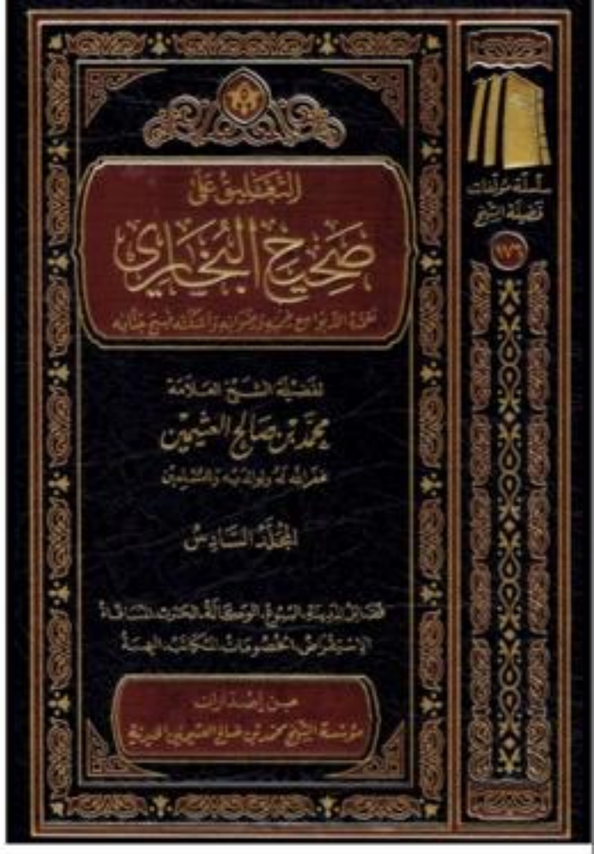
٦/ ٦١٥

سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَى ذِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[١].

---

[١] هذا الحديثُ واضح في هِبة القليل، وهو قوله: «وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ».

وفي هذا من حُسْن خُلُق النبيِّ ﷺ ما لا يخفى، فإنه كان يقبل القليل، ويُجيب إليه.



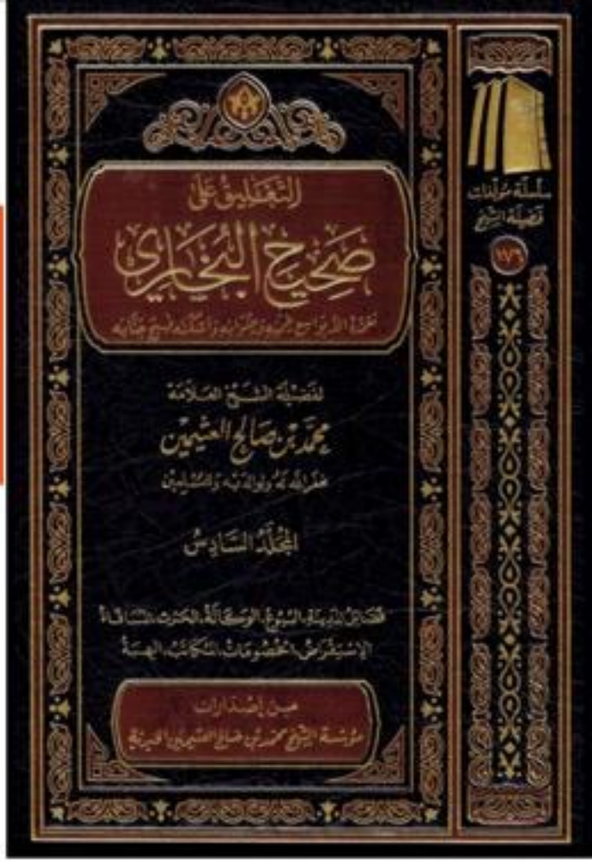
جواز الحلف على ما يغلب على الظن

٦٩ /٧

= ٦- جواز القَسَم على ما يغلب على الظنِّ؛ لقول أبي السنابل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَاللهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ**» فأقسم أنه لا يُمكن أن تتزوَّج إلا إذا مضى عليها أربعة أشهر وعشر، ولكن هذا بناء على ظنِّه، وهو ظنٌّ قد تبيَّن خطؤه من فتوى رسول الله ﷺ؛ ولهذا جاء في بعض الألفاظ أنها أخبرته بقول أبي السَّنابل، فقال: «**كَذَبَ أَبُو السَّنَابِلِ**»[1] أي: أخبر بخلاف الحق، وإن لم يكن تعمَّده.

الريح التي تحمل أتربة هل هي غضب من الله؟

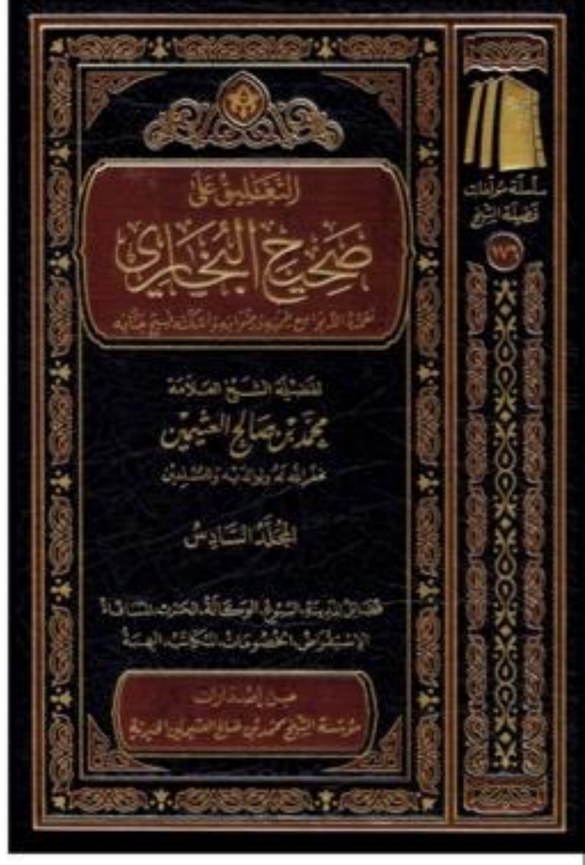
٧/ ٢٥٥



وهنا مسألة: الريح التي تحمل الأتربة هل هي من غضب الله عَزَّوَجَلَّ؟

الجواب: لا؛ لأنها معتادة، والرسول ﷺ لم يُخبرنا بأنها غضب، ولكن يتعوَّذ الإنسان من شرِّها، أمَّا الرِّياح العاتية التي ما جرت بها العادة فلا شَكَّ أنها عذاب.

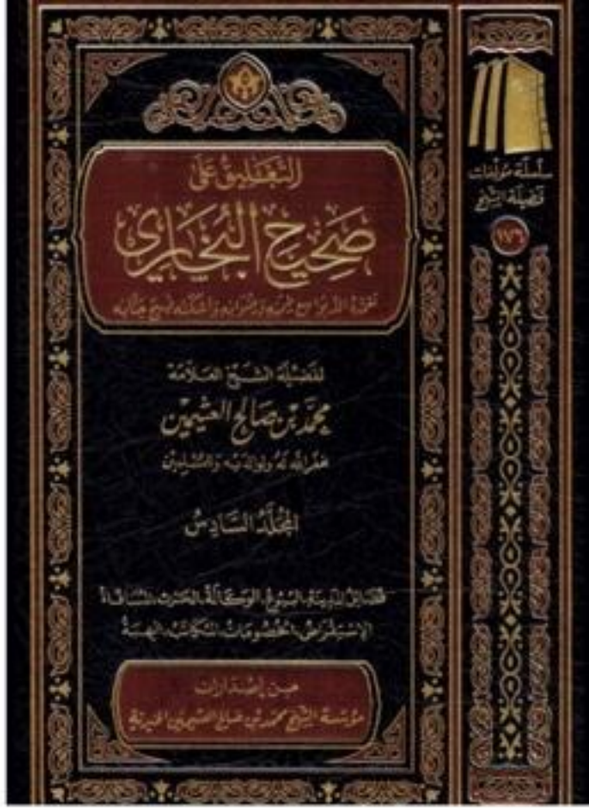
الهدي النبوي مع الرؤيا المكروهة



٧/ ٢١٢

لكن بعض الناس يرى رؤيا مكروهةً، فيُؤَوِّلها في نفسه، أو يسأل عنها، فتعبر له، ثم تقع، والإنسان إذا فعل ما أمر به النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ من أنه إذا رأى ما يكره وانتبه في منامه تفل عن يساره ثلاث مرَّات، وقال: «أعوذ بالله من شرِّ الشيطان، ومن شرِّ ما رأيت» ثم نام على الجنب الثاني[١]، ولم يُحَدِّث بها أحدًا، فمهما كانت الرؤيا فإنها لا تضرُّه[٢]، وبهذا يستريح الإنسان، وقد كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقولون: إننا نرى الرؤيا، فنمرض منها أيَّامًا، ولمَّا حَدَّثنا رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بهذا الحديث استرحنا، وصار الإنسان إذا رأى ما يكره فعل ما أرشده النبيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إليه، وسَلِم[٣].

الصبر على المصائب

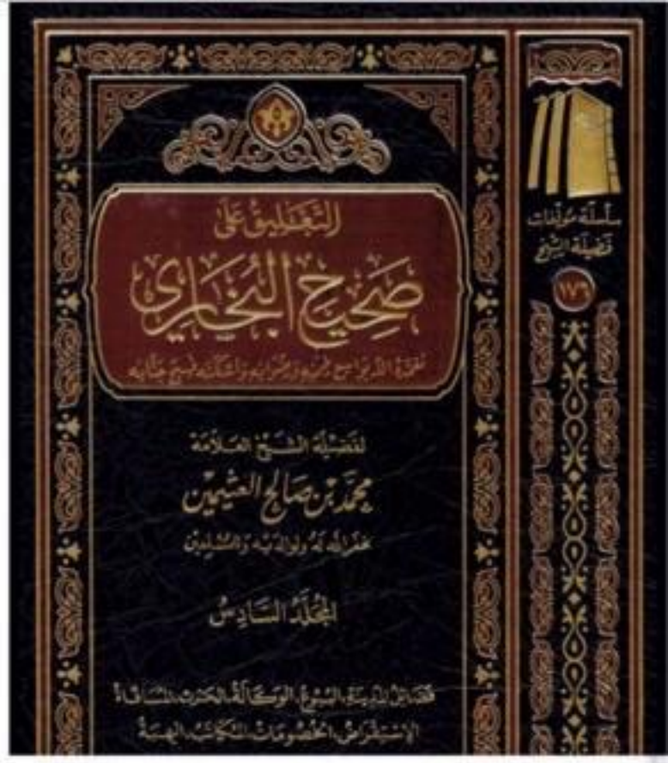


١٥١ /٧

وفي الحقيقة أن الصبر على المصائب فيه شيء من الصبر عن المعصية؛ لأن الصبر على المصائب معناه: أن تحبس نفسك عن المُحَرَّم، فلا تشق الثوب، ولا تلطم الخد، ولا تدعو بالويل والثبور، وهذا انكفاف عن المُحَرَّم، أمَّا الصبر على طاعة الله فكان أفضل؛ لأن الصبر على طاعة الله يُعاني الإنسان فيه المجاهدة النفسية والتعب البدني، فتجده يتوضَّأ في البرد، ويخرج إلى الجماعة في الأسواق المظلمة والرياح الباردة، فلهذا قال أهل العلم: إن أفضلها الصبر على الطاعة.

ثم إن الصبر على المصيبة الدائمة مثل الصبر على الطاعة الدائمة، فالطاعة إذا كانت دائمةً فكل لحظة تمرُّ على الإنسان في طاعة الله فهي صبر عليه.

صلاة النافلة في السيارة



٧/ ٢٩٦

[illegible] عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ أَنْمَارٍ يُصَلِّي عَلَى رَاحِلَتِهِ مُتَوَجِّهًا قِبَلَ المَشْرِقِ مُتَطَوِّعًا[١].

---

[١] ولا يلزم هنا أن تكون القبلة أمامه؛ لأن التطوع في السفر يجوز على الراحلة حيث توجَّهت به.

وهل ينطبق هذا على المسافر بالسيارة؟

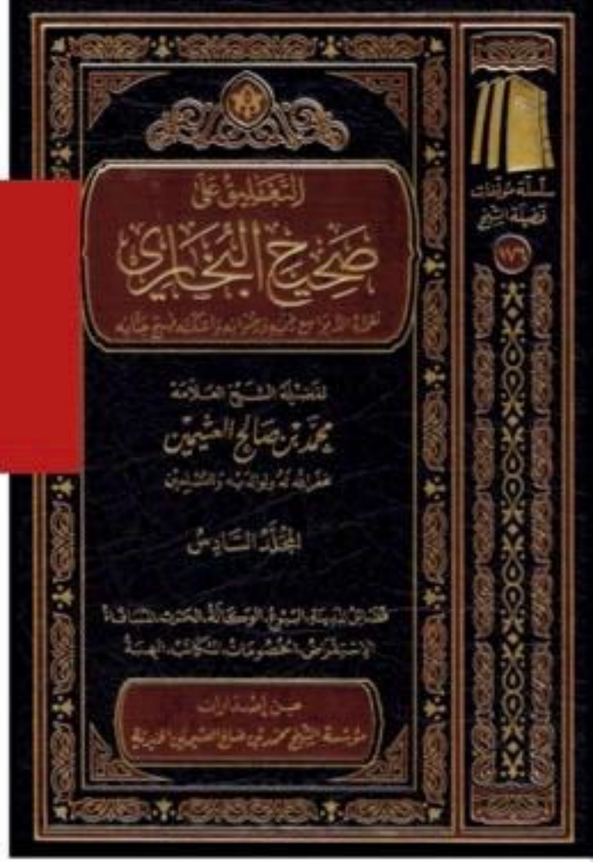
الجواب: نعم، لكننا لا نُحِبُّ أن يتطوَّع السائق؛ لأن النبيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «**لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الْأَخْبَثَانِ**»[١] واشتغال القائد بقيادة السيارة أشدُّ من انشغال مَن حضر طعامه، فلا نرى أن يُصَلِّي السائق.

وفي هذا: دليل على إثبات التطوع في السفر، وأعدل الأقوال في هذا الباب: أن جميع التطوعات في السفر باقية على مشروعيَّتها إلا الرواتب، فإن الرسول ﷺ كان لا يُصَلِّيها ما عدا راتبة الفجر[٢]، فلا يُصَلِّي راتبة الظهر والمغرب والعشاء، وأمَّا العصر فلا راتبة لها، لكن لها سُنَّة، وهي أربع قبلها.

وأمَّا الباقي من التطوع فإنه باقٍ على ما هو عليه، كصلاة الضُّحى، وصلاة الليل،

من دخل بنية المغرب مع قوم يصلون العشاء

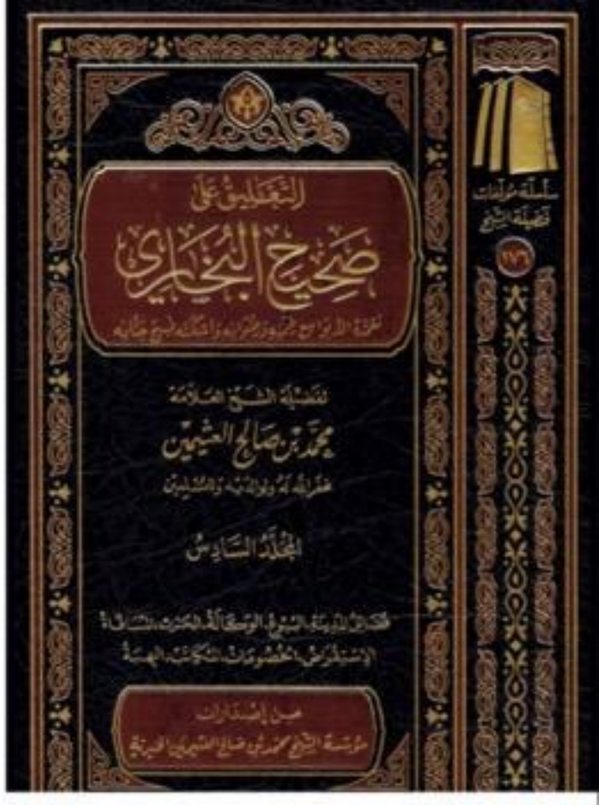
٢٦١ /٧



لكن مَن فاتته المغرب، ووجد أُناسًا يُصَلُّون العشاء، فهل يُصَلِّي معهم، أو ينتظر حتى يُصَلُّوا؟

نقول: يُصَلِّي معهم، فإذا قاموا إلى الرابعة جلس وسلَّم، ثم قام، وصلَّى ما بقي معهم في الرابعة

صفة كلام النبي ﷺ



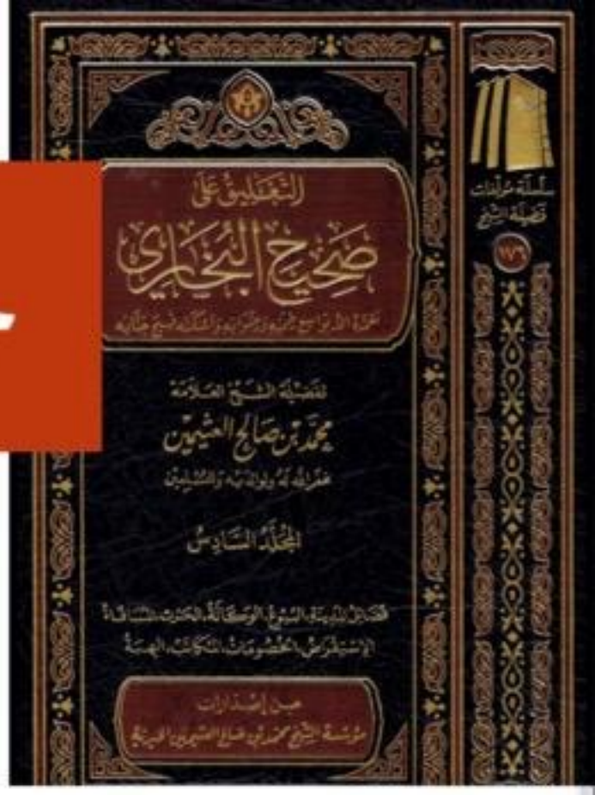
٣٥٢ /٧

[١] فُهِمَ من هذا الحديثِ: كيف كانت صفةُ كلام النبي ﷺ؟ هل كان يَسرُد في الحديث ويُعَجِّل، أو كان يتأنَّى؟

الجواب: كان يتأنَّى حتى يفهم السامع منه كلَّ كلمة، بل كل حرف، وهذا هو الأفضل: ألَّا يَسْرُد الإنسان الشيء سَرْدًا، وكان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إذا تكلَّم أحيانًا يُعيد الكلمة ثلاثًا حتى تُفْهَم عنه[1]، وليس هذا دائمًا، ولكن على حسب ما تقتضيه الحال.

وأمَّا التأنِّي في الكلام، والترسُّل فيه، وكون الإنسان يكون كلامه مفهومًا، فهذا أمر يَنبغي، وهو من الأمور المطلوبة؛ لأن الكلام إذا أسرع الإنسان فيه وسَرَدَه فقد يفوت بعض السامعين شيء منه، وحينَئِذ يغلط في فهمه، وفي نَقْلِه أيضًا.

حكم قول: (هذا من بركات فلان..أو فيه بركة)

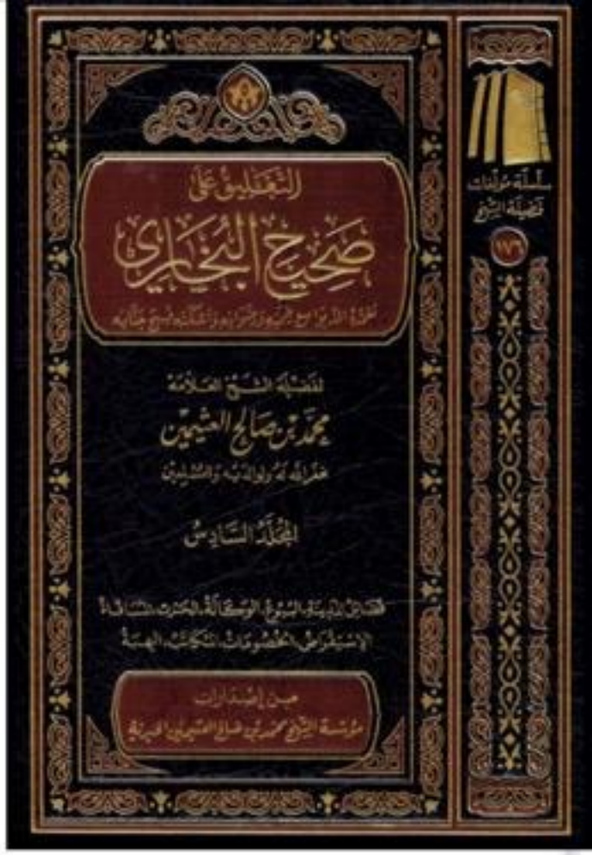


٤٣٤ /٧

٦- إطلاق مثل قول: فلان فيه بركة، أو فلان بركته كذا، وما أشبه ذلك، إذا جعل الله على يديه خيرًا كثيرًا، سواء كان حيًّا أم ميتًا، فيُقال مثلًا: هذه من بركات فلان. أي: من آثار البركات التي جعلها الله تعالى على يده، فإن الله تعالى قد يجعل في بعض الناس بركةً وخيرًا، وبعض الناس يكون بالعكس.

وليس معنى هذا: أن هذه البركة كانت من أثر حسِّيٍّ، ولكنها من آثار معنويَّة، وعلى هذا فلا يُشْرَع للإنسان أن يتبرَّك بلباس أحد أو بعرَقه أو بريقه أو ما أشبه ذلك، إلا بالرسول ﷺ، وهذا لا يُوجَد الآنَ، والدليل على هذا: أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما كانوا يفعلون هذا الشيءَ إلا مع الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فقط، ولو كان هذا من الأمور الجائزة لكانوا يتبرَّكون بأبي بكر وعُمَرَ وعثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

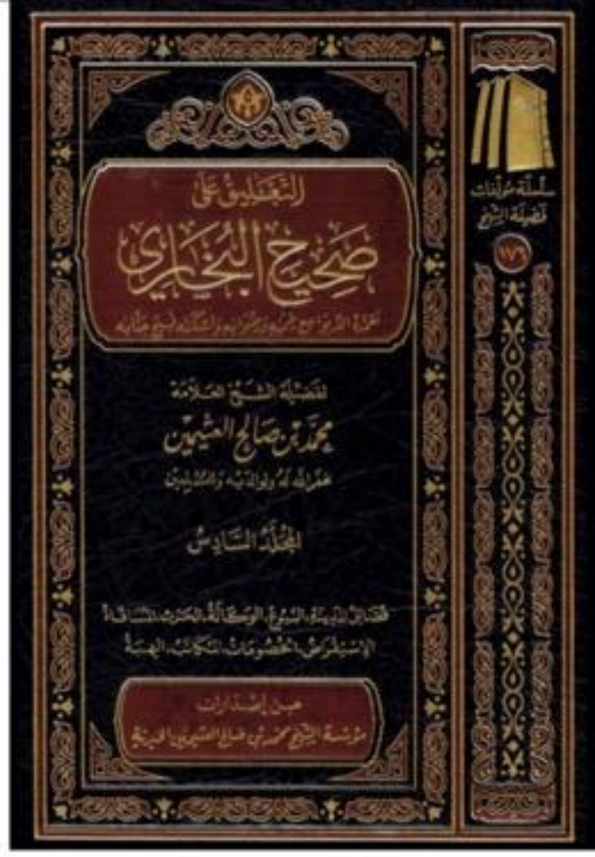
طلب العلم من الجهاد في سبيل الله



٧/ ٤٢٨

وكذلك العِلم من الجهاد في سبيل الله؛ لأن الدِّين قام بالعِلم والسِّنان، فهو من سبيل الله، قال أهل العِلم: إذا تَفرَّغ قادر على التكسُّب للعلم أُعْطِيَ من الزكاة، أي: يُعْطَى نفَقته من الزكاة؛ لأنه في سبيل الله.

قاعدة في محبة ما أحبه الرسول ﷺ



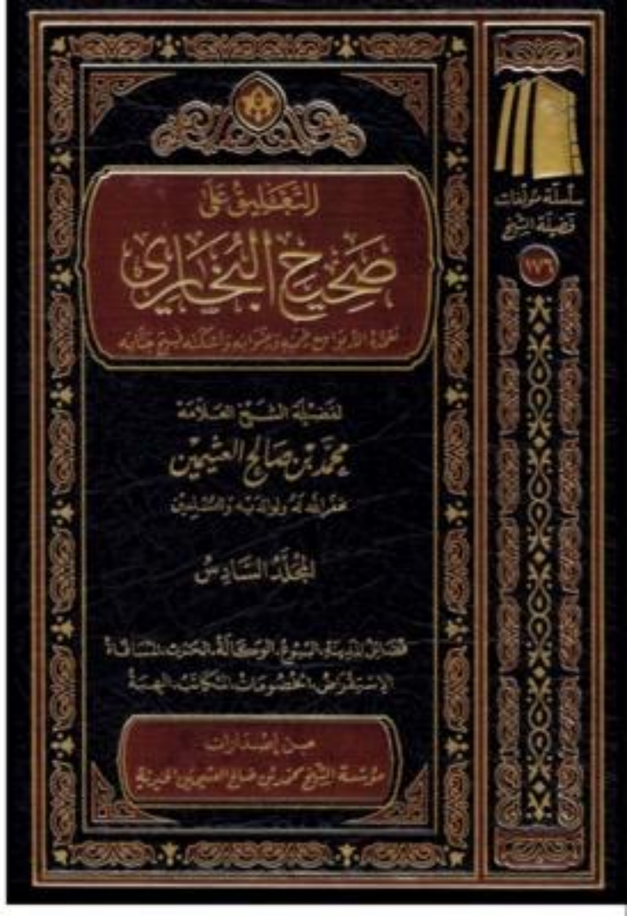
٧/ ٥٢٢

وهنا قاعدة: يجب على المؤمن أن يُحبَّ ما أَحَبَّه الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ محبَّةً إيمانيَّةً، سواء كان من الأشخاص، أو الأعمال، أو الأوصاف، وسواء كان ذلك جمادًا أو عاقلًا، حتى جبل أُحُد يجب علينا أن نُحِبَّه؛ لأن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان يُحِبُّه[1].

وهل يشمل هذا الطعامَ واللباسَ؟

نقول: لا؛ لأن الطعام من الأمور العاديَّة، والأمور العاديَّة وما تقتضيه الطبيعة لا حكمَ له، وكذلك اللِّباس، لكن إن تعلَّق بمحبة الرسول ﷺ للباسٍ وَصْف مُراعًى شرعًا ويُتعبَّد به، ككونه ساترًا أو ما أشبه ذلك، فهو من هذه الناحيةِ نعَمْ.

معنى جملة (الله المستعان)

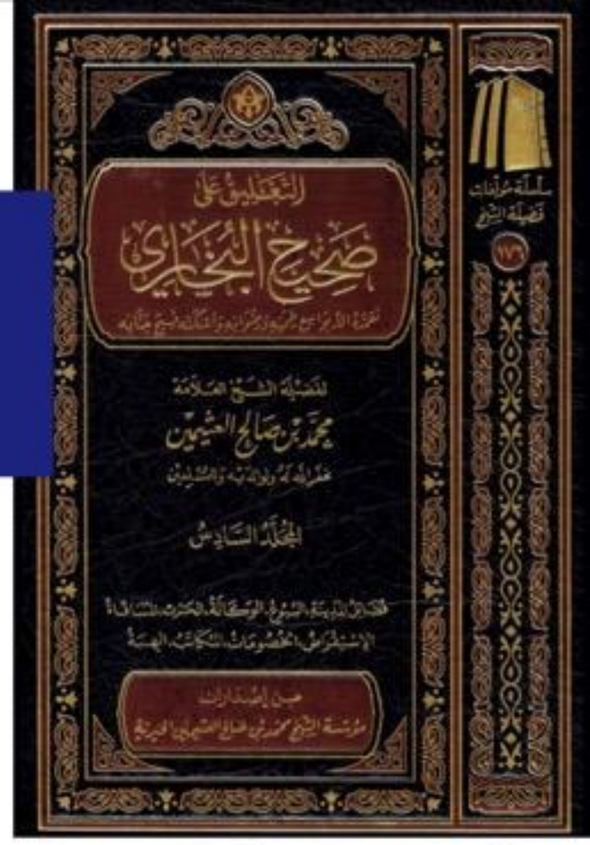


٧/ ٤٦٥

وهذه الجملة «**اللهُ المُسْتَعَانُ**» جملة خبريَّة بمعنى الطَّلَب، أي: اللهُمَّ أعِنِّي، فأنا = لا أستعين إلا بكَ أنتَ. كقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لكن هذه جملة فعليَّة، والأُولى جملة اسميَّة.

وكذلك يقول الإنسان في الأمر المستقبل: «الله المستعان»، وفي الأمر الماضي يقول: «إنا لله، وإنا إليه راجعون».

معنى: "لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا"



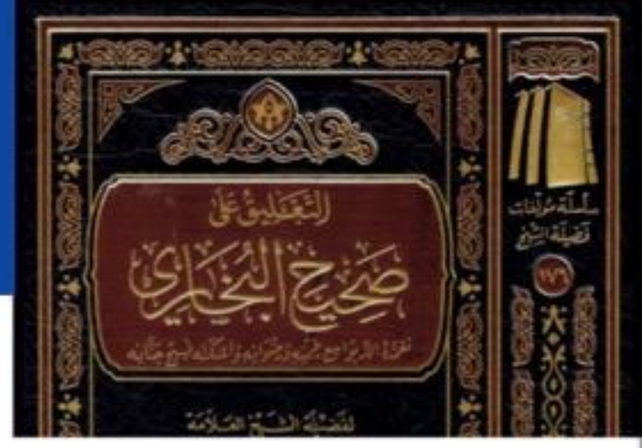
٧/ ٥٤١

أَبَا وَائِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَسْرُوقًا قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا[١]، وَقَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»[٢].

---

[١] قوله: «**لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا**» الفاحش: هو الغليظ في القول، وفي الفعل، وما أشبه ذلك، والفرق بين الفاحش والمتفحِّش: أن الفاحش بطبيعته، والمتفحِّش بكسبه، أي: يطلب الفحش، فسَلِمَ الرسول ﷺ من هذا طبيعةً وكسبًا، فكان ليِّنًا حَسَن الأخلاق هادئًا.

معنى: "إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا"



٧/ ٥٤١

أَبَا وَائِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ مَسْرُوقًا قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا[١]، وَقَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»[٢].

---

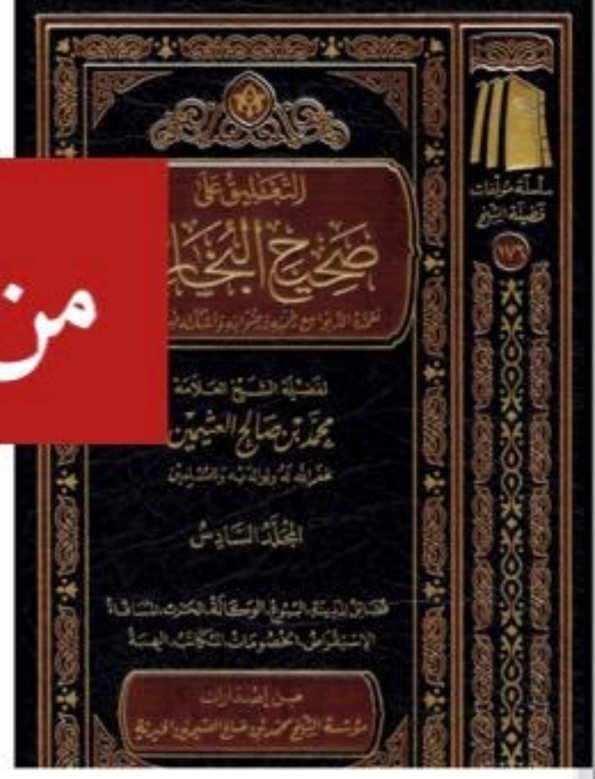
[٢] قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» هذا دليل واضح على فضل حُسن الخُلُق، وحُسْن الخُلُق يكون مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويكون مع الناس، أمَّا مع الله فيكون في أحكامه الشرعيَّة، وفي أحكامه الكونيَّة.

فحُسْن الخُلُق مع الله في أحكامه الشرعيَّة: أن ينشرح صدر الإنسان للإسلام، ولا يَرُدَّه، فإن كانت أوامرَ فَرِحَ بها واستبشر، وأدَّاها على الوجه المطلوب، وإن كانت نواهيَ تركها مُسَلِّمًا لذلك، ولم يَضِق بها صدره، ولم يقل في نفسه: هذا تضييق، وهذا حبس للحرِّيَّة، وهذا منع من الثياب. وما أشبه ذلك.

وأمَّا حُسن الخُلُق مع الله في أحكامه القدَريَّة فهو أن يرضى بقضاء الله وقَدَره،

وأمَّا حُسْن الخُلُق مع الناس فقال بعض العلماء: هو كَفُّ الأذى، وبَذْل النَّدى، أي: الخير، ما استطاع الإنسان، سواءٌ كان مالًا، أو جاهًا، أو غير ذلك، وكفُّ الأذى بألَّا يُؤْذِيَ الناس، ثم مع ذلك يصبر على أذاهم، فالمؤمن الذي يُخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يُخالطهم، ولا يصبر على أذاهم.

من صور حسن الخلق: أن تلقى أخاك بوجه طلق

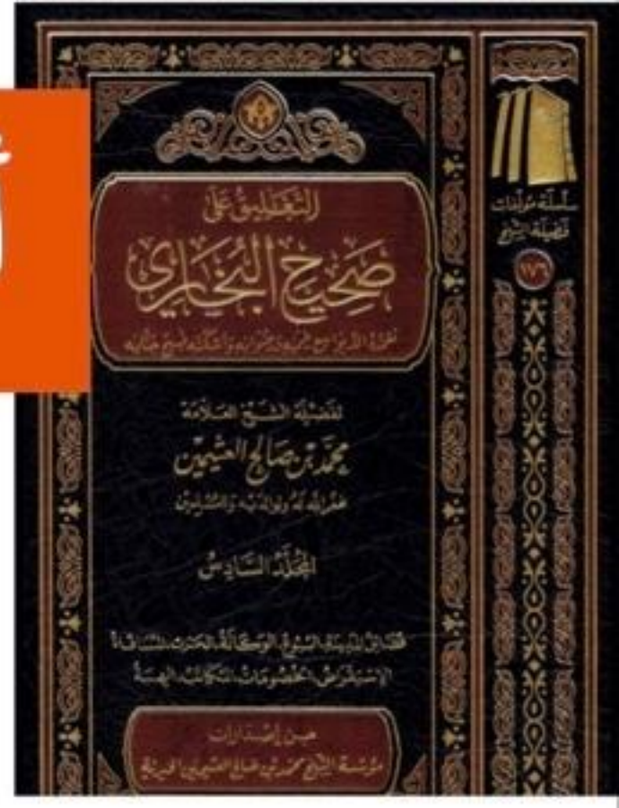


٧/ ٥٤٢

ومن ذلك: أن تلقى إخوانك بوجه طَلْق مُنشرِح، وأن تصبر، وقد ذكَر ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيخه ابنِ تيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: كان الرجل يأتينا، فيكون أثقلَ علينا من الجبال، فيأتي إلى شيخنا مع أنه مشغول، فينشرح له صدرُه، ولا يملُّ منه[٢]، وهذا من حُسن الخُلُق مع الناس، فتأتيهم بالتي هي أحسنُ.

وهذا أمر قد يكون شاقًّا على النفوس، لكن يُمَرِّن الإنسانُ نفسَه، وإذا ضاق ذَرْعًا بشخص فلْيَصبِر عليه حتى يتخلَّص بسهولة؛ ولهذا قال الرسول ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنكُمْ أَخْلَاقًا**»، وهذه يَنبغي للإنسان أن يجعلها دائمًا نُصْب عينيه: أن يُحْسن خُلُقه ما استطاع.

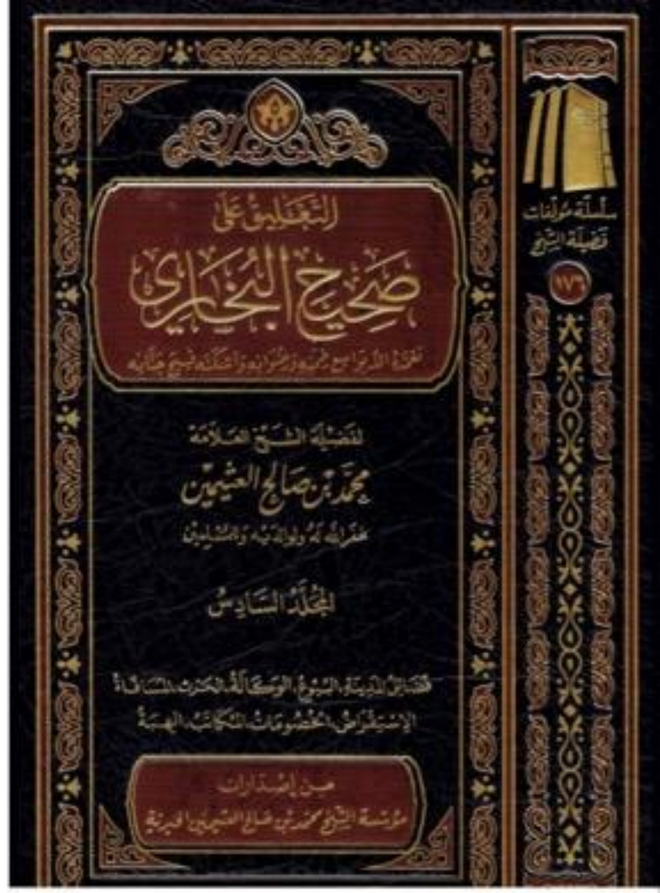
أيهما أفضل الإقامة في مكة أم في المدينة؟



لكن أيُّهما أفضلُ: الإقامة في مكةَ، أم في المدينةِ؟

نقول: قدِ اختلَف العلماء في هذا -بعد الاتفاق على أن مكةَ أفضلُ من المدينة- فذهب بعض أهل العِلم إلى أن الإقامة في المدينة أفضلُ من الإقامة في مكةَ، وممَّن ذهب إلى هذا الإمامُ مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]، قال: لأنها مُهاجَر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقد قال الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «المَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»[١]، ولكن الصحيح خِلاف هذا، وأن الإقامة في مكةَ أفضلُ؛ لأن مكةَ صارت بعد الفتح بلادَ إسلام؛ ولهذا قال الرسول ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ»[٢]، وقد أخبر أنها أحبُّ بِلاد الله إليه، وأنه لولا أن قومه أَخرَجوه منها ما خرَج[٣]، وذهب إلى هذا الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: إن الإقامة في مكةَ أفضلُ[٤].

ينبغي للإنسان ألا يُعجب بعمله



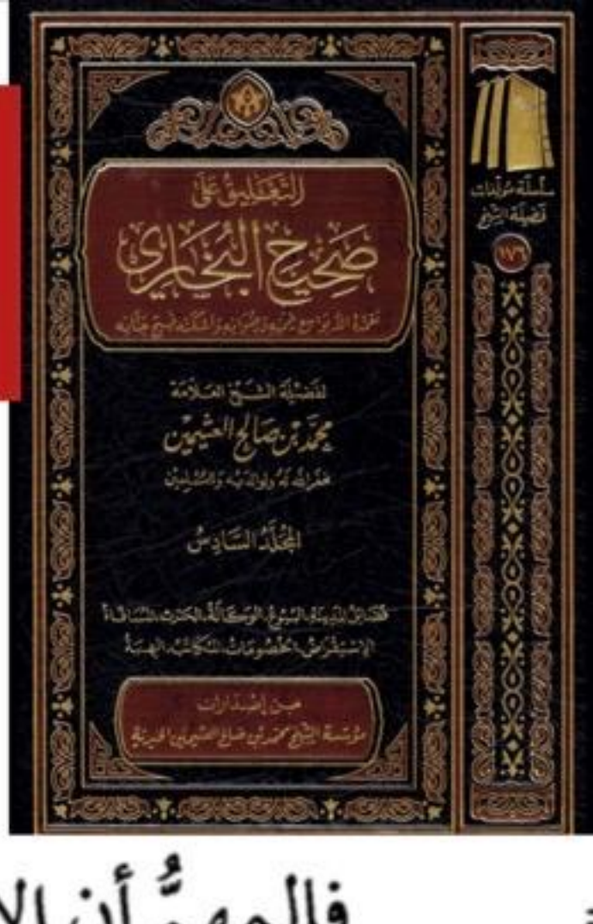
٧/ ٧٤٥

وفي هذا: دليل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يُعْجَب بعمَله؛ لأنه لـو أراد أحـد

= أن يُعْجَب بعمَله لكان عمرَ بنَ الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي حصل على يديه من الخير العظيم لهذه الأمَّة ما لم يحصل على يدَيْ أحَد سواه غير أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومع ذلك كان خائِفًا منه.

والواحد منَّا إذا صلَّى ركعتين قال: أنا مَن أنا؟! أنا خليل الرحمن! وأُعْجِب بعمَله، وأدلَّ به على ربِّه، وكلُّ هذه من الأمور والمصائب التي تُبيِّن لك حال الناس بعد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وحالهم في الوقت الحاضر!

تأمل حال بيوت النبي ﷺ في قلة الطعام



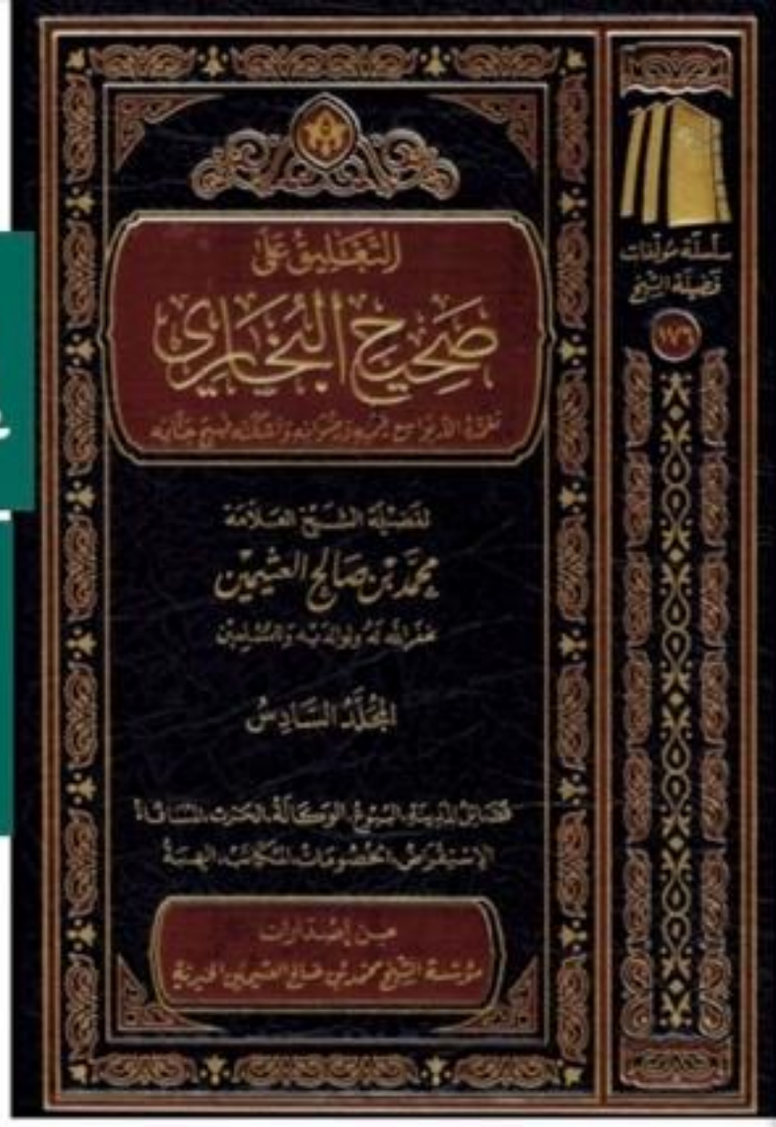
٧/ ٥٨٤

فالمهمُّ أن الإنسان ينبغي له -مهما بلغ من الفقر- أن يذكر هذه الحالَ، وأن بيوت الرسول صلَّى اللهُ عليه وعلى آلهِ وسلَّم تسعة، ما وُجِدَ عندهم إلا الماء، وكان يمضي عليه اليومان والثلاثة ما شبع من خبز الشَّعير[١]، وكان يمضي الشهران والثلاثة ما أُوقد في بيته نار[٢]، عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ونحن إذا قُدِّم لنا الغَداء والعَشاء وإذا فيه أنواع مُتعدِّدة، والإنسان يوم القيامة يُسْأَل عن النعيم، فإذا كان أمضاه في طاعة الله سَلِمَ، وإن كان أعانه على معصية الله فقد هلك.

إثبات صفتي (الضحك والعجَب) لله تعالى

إثباتاً يليق بجلاله

٧/ ٥٨٠



[١] قوله صلوات الله وسلامه عليه: «ضَحِكَ اللهُ اللَّيْلَةَ أَوْ عَجِبَ» في هذا: إثبات الضحِك والعجَب لله عَزَّوَجَلَّ، فأمَّا الضحِك فإنه صِفة كمال، ولهذا لمَّا أخبر النبي ﷺ أن الله عَزَّوَجَلَّ يضحك قال الأعرابي: أَوَيَضحَك ربُّنا يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ»، فقال: لن نعدم من ربٍّ يضحك خيرًا[1]. فهي صفة كمال، وليست كضحِكنا؛

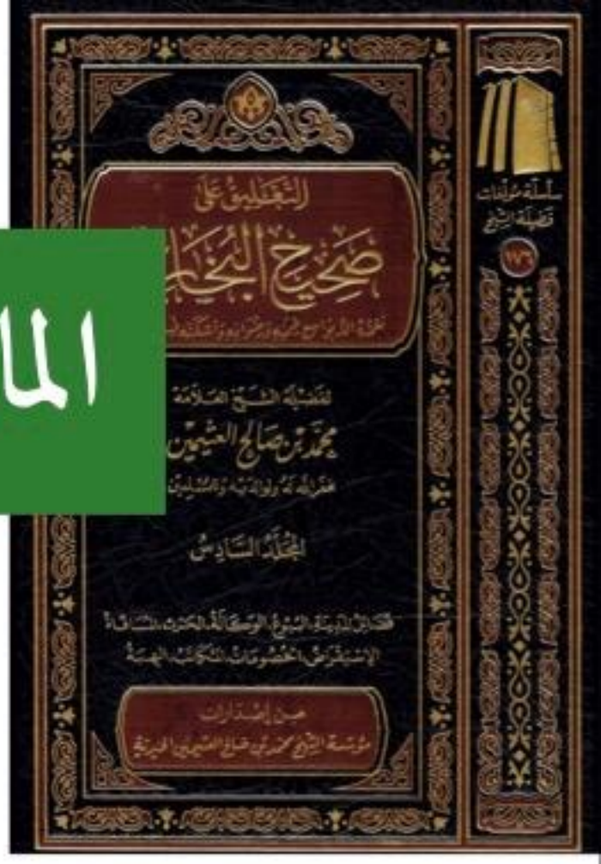
= لأن كل صفة أثبتها الله لنفسه -ولنا مثلها في الاسم- فإنها تُخالف ما نحن عليه في الحقيقة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، فأهل السُّنَّة والجماعة يُثْبِتون الضحك لله عَزَّوَجَلَّ، ولكن على وجه لا يُماثل صفاتِ المخلوقين.

وكذلك فيه إثبات العجَب، والعجَب نوعان:

أحدهما: عجَب يكون مَنْشَؤه خفاءَ الأسباب على المُتعجِّب، فيقع منه بَغتةً، فيتعجَّب من وقوعه، وهذا النوع من العجَب محال على الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأنه يقتضي سَبْق الجهل، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليمٌ بكلِّ شيء، لا يسبق عِلمَه جهلٌ.

النوع الثاني من العجَب: عجَب سببه أن هذا الشيءَ خرج عن نظائره، سواءٌ كان بكمال أو نقص، فهذا ثابتٌ لله عَزَّوَجَلَّ، فعجِب اللهُ عَزَّوَجَلَّ من فعل هذا الرجل وامرأته؛ لخروج الشيء عن العادة والنظائر

المال الذي تتركه لورثتك المحتاجين يعادل الصدقة

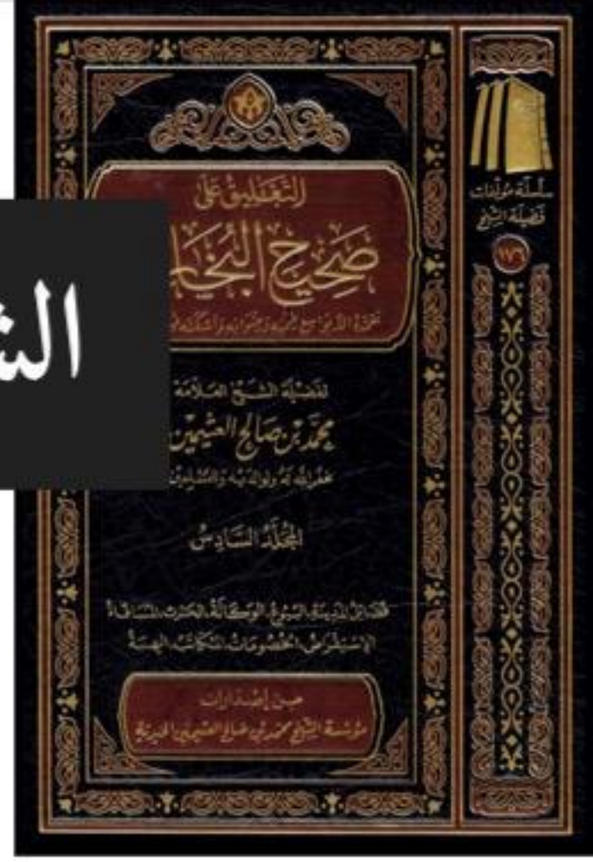


٧/ ٧٨٢

٦- أن ما خلَّفه الإنسان بعد موته لورَثته يُعادل الصدَقة إذا كانوا محتاجين؛ لقوله: «**إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ**»؛ لأن أَوْلَى الناس بك ورَثتُك؛ ولهذا قال الرسول ﷺ: «**مَا بَقِيَ فَلِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ**»[1]، فكيف تتصدَّق بمالكَ على فلان وفلان، وعندكَ ورثة محتاجون؟!

فإذن: الإنسان يُؤْجَر وإن لم يُوصِ، بل عدم الوصية إذا كان ورثتُه فقراءَ أَوْلَى، بل قال الفقهاء: إنها تُكْرَه وصية فقير، وارِثه محتاج، فإذا لم يكن عنده إلا مال قليل، وورثته محتاجون، فتُكْرَه الوصية حينَئذٍ.

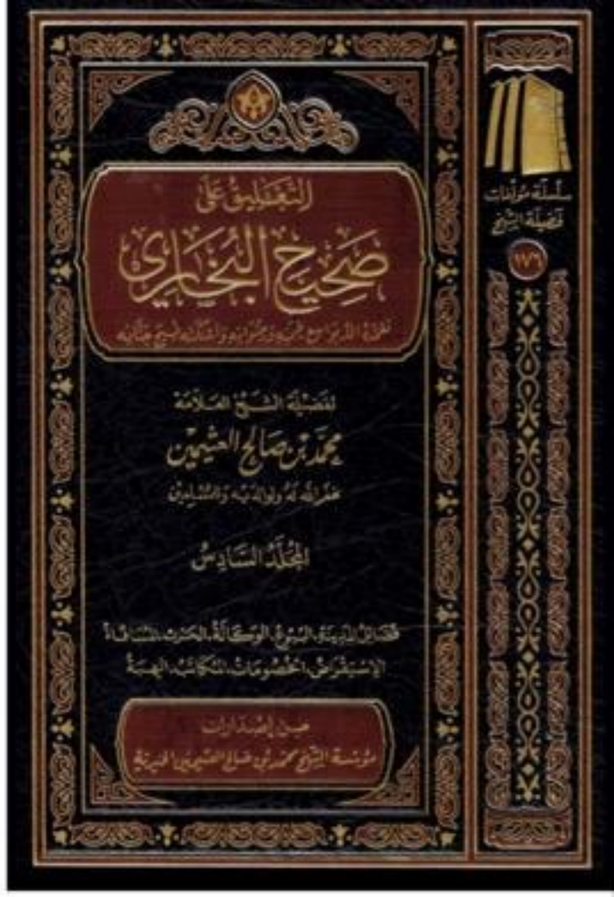
الشيطان يتسلط على العبد إلا أن يحميه الله تعالى



٨/ ٣٦

٧- أن الشيطان يُسَلَّط على بني آدم، إلا أن يحميه الله عَزَّوَجَلَّ؛ لقوله: ﴿وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ فالشيطان قد يستولي على الإنسان ويُكَسِّله ويُخَذِّله، إلا إذا مَنَّ الله عليه بنجاته منه، ومن أعظم الأسباب لذلك: الاستعاذة بالله منه، والذِّكر، فإن الشيطان خنَّاس، كلما ذُكِرَ اسمُ الله خَنَس؛ ولهذا إذا أذَّن المُؤَذِّن يُوَلِّي وله ضُراطٌ؛ لأنَّهُ لا يستطيع أن يُقاوم ذكر الله عَزَّوَجَلَّ.

من أخلص في العلم وثابر يسّر الله له.

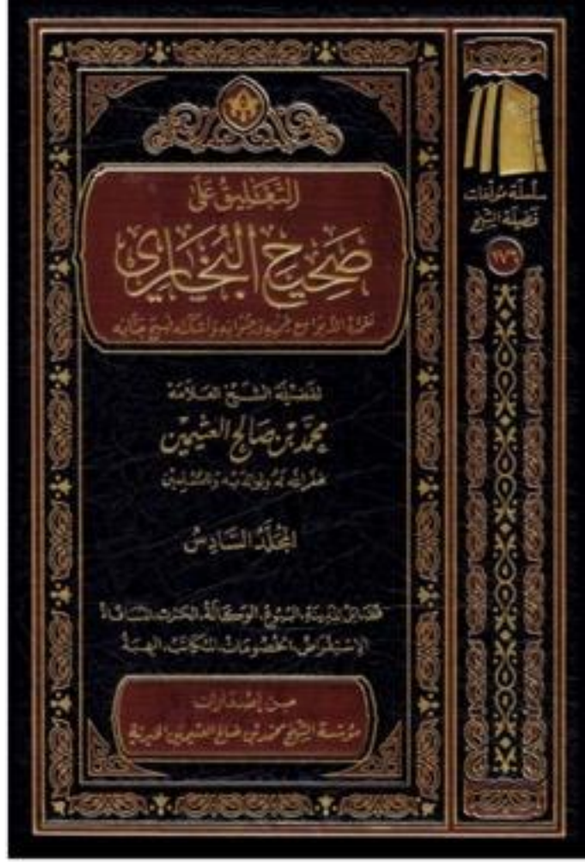


٨/ ٩٢

ويُقال أيضًا: إن ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الظاهريَّ المعروف دخل يومًا من الأيام = المسجد، وجلس، فقال له رجل: قم صلِّ ركعتين تحية المسجد، فقام وصلَّى ركعتين، وكان دخوله في غير وقت نهي، ثم جاء مرَّةً أخرى، ودخل بعد العصر، وقام يُصَلِّي ركعتين، فقال له هذا الرجل أو غيره: اجلس، فما هذا بوقت صلاة، ولكنه وقت نهي! فقال: سبحان الله! إن صليت نهوني، وإن جلست نهوني، لا بُدَّ أن أطلب العلم؛ من أجل أن يكون له علم كعلمهم، فطلب العلم[1].

والحاصل أنني أقول: لا تيأس أبدًا، فإذا ثابر الإنسان على العلم بنية خالصة يسَّر الله له الأمور.

أنواع الصبر وأفضلها



١٥٠ /٨

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ تقدَّم أن الصبر بمعنى: الحبس، وأنه ثلاثة أقسام:

الأول: الصبر على طاعة الله، أي: أن يحبس الإنسان نفسه على الطاعة.

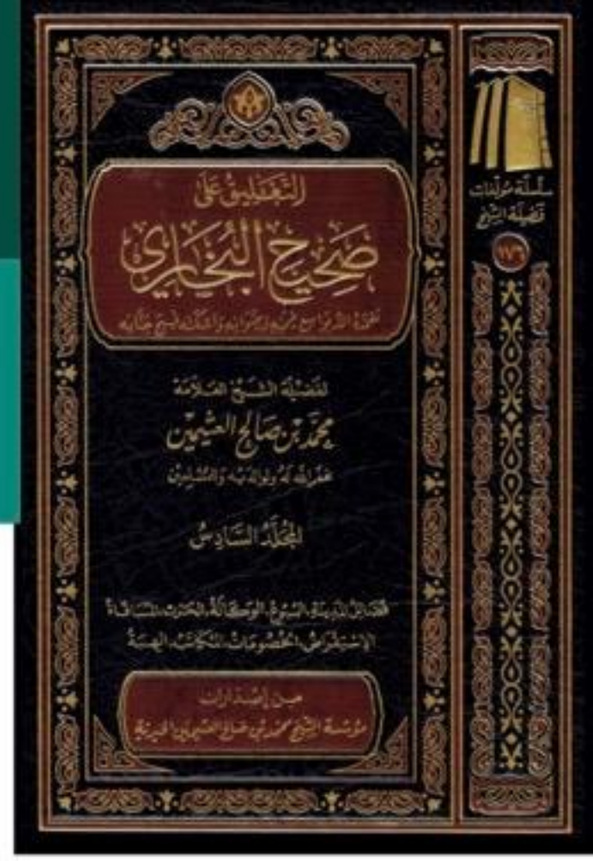
الثاني: الصبر عن معصية الله، أي: أن يكف الإنسان نفسه عن معصية الله.

الثالث: الصبر على الأقدار المؤلمة، أي: أن يصبر الإنسان عند الأقدار المؤلمة، فلا يتسخَّط، ولا يتضجَّر، ولا يشقُّ الجيوب، ولا يلطم الخدود، وما أشبهه.

وأفضلها: الصبر على الطاعة، ثم عن المعصية، ثم على الأقدار؛ ولهذا كان صبر يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عن موافقة امرأة العزيز على الفاحشة أشدَّ من صبره على ما أصابه من إخوته وأفضل.

معنى قوله ﷺ:

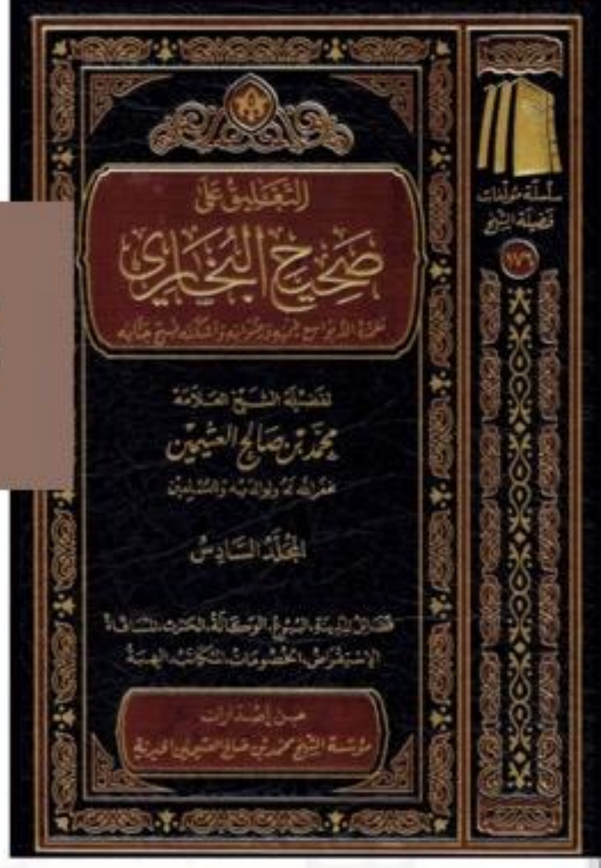
"إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ، لَمْ تَكْذِبْ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ"



٨/ ٢١٣

= والغالب أن الرؤيا المزعجة المُرَوِّعة تكون من الشيطان؛ ليَحْزُن الذين آمنوا، كما أن النجوى من الشيطان؛ ليَحْزُن الذين آمنوا، فالشيطان يُوحي إلى أوليائه في عهد الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن يتناجوا فيما بينهم؛ ليُوهموا المؤمنين أنهم يُريدون بهم سوءًا، فيحزنوا بذلك، فهكذا الشيطان يضرب الأمثال للنائم بما يكره ليحزنه، فإن تسرَّع الإنسان وأوَّلها أو طلب مَن يَعْبُرها فقد تقع، وإن فعل ما أُمِرَ به وأَرْشَد إليه النبيُّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ سَلِمَ من شرِّها، والحمد لله الذي أرشدنا بالنبيِّ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فأخبرنا بما ينفعنا، ونستريح.

وقد أخبر الرسول ﷺ أنه في آخر الزمان لا تكاد رؤيا المؤمن تُخْطِئ[1] ولعل هذا -والله أعلم- يكون عند بُعْد الناس عن الوحي؛ لأن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة، فإذا بَعُد الناس عن الوحي فإنه قد يكون لهم مراءٍ يُرَون إيَّاها تكميلًا لهذا النقص، وحثًّا للناس على العمل وعلى الاستقامة.



قد تكون صورة الرؤيا واحدة وتعبيرها يختلف

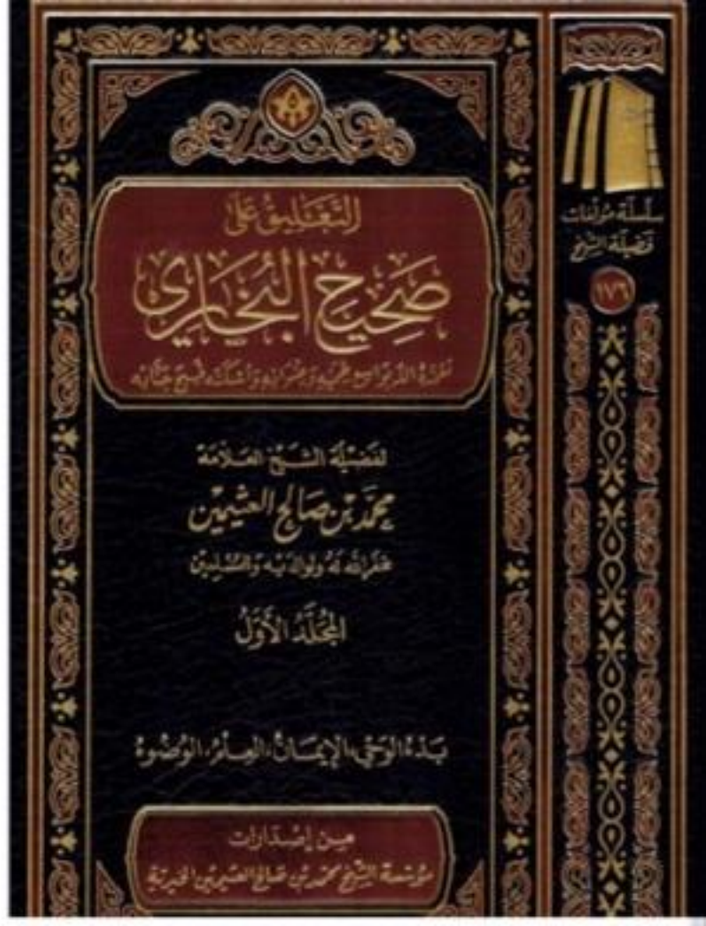
٢١١/٨

ثم اعلم أن الرؤيا قد تكون صورتها واحدةً، وتعبيرها مُختلِفًا بحسب حال الرائي، وبحسب مَن رُئِيَت فيه، وبحسب ما رُئِيَت فيه من زمان أو مكان؛ ولهذا يغلط بعض المعبرين الذين يُعَبِّرون الرؤيا باعتبار صورتها في كلِّ وقت، وفي كلِّ مكان، وفي كلِّ إنسان؛ فإن هذا خطأ، فقد يرى الرائي رؤيا في شخص، فنعبرها، ويراها في آخر، فنعبرها على وجه آخر؛ لأن الرؤيا في الأول لا تُناسب الرؤيا في الثاني.

= وكذلك بعض الناس يقتني بعض الكتب المعبرة للرؤيا، ثم يطردها على جميع الناس، وهذا خطأ، ولا يجوز، وتعبير الرؤيا لا يجوز إلا لِمَن يعرف، كما أن الجاهل في العلم لا يجوز له أن يُفتي.

أقسام التفسير والمفسرون

٥/٩



الأول: تفسير اللفظ، وهو أن تُفَسِّر كل كلمة بمعناها.

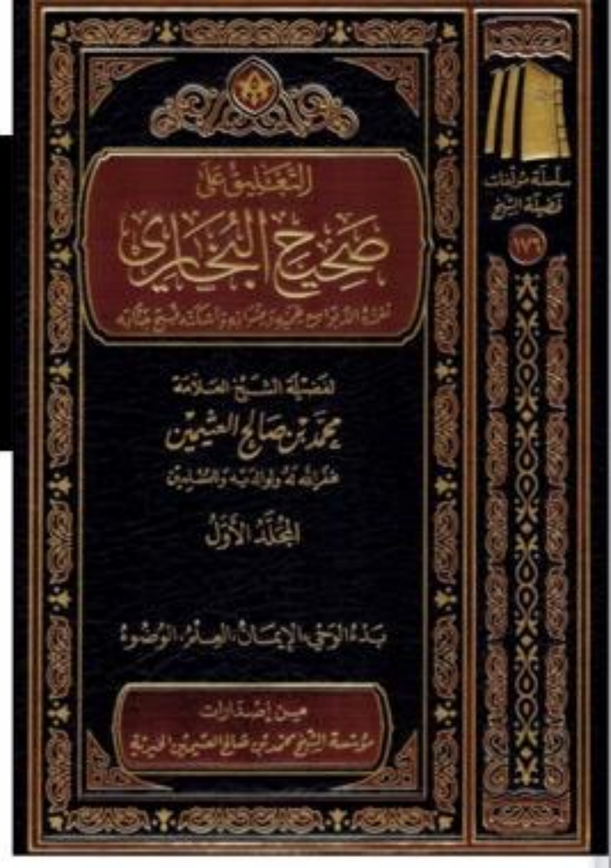
والقسم الثاني: تفسير المراد، وهو أن تُفَسِّر الكلمة بما يُراد بها، كما تقول: الصلاة في اللغة: الدعاءُ، ويُراد بها: العبادة المعروفة، والزكاة في اللغة: النماء، ويُراد بها كذا.

فتفسير المراد يكون بالنسبة للجُمَل، وتفسير الألفاظ يكون بالنسبة لكل لفظة على انفرادها.

واعلم أن تفسير القرآن من أَجَلِّ العلوم وأهمها؛ لأنه تفسير لكلام الله عَزَّوَجَلَّ، وتبيين لمعناه، وهذه هي طريقة السلف رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فإنهم لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلَّموها وما فيها من العلم والعمل، فالذي ينبغي لنا أن نعتني بتفسير كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

واعلم أيضًا أن المُفَسِّرين لكلام الله عَزَّوَجَلَّ ينقسمون إلى قسمين: قسم يُفَسِّرون بالأثر، أي: بالمنقول عن السلف، مثل: ابن جرير وابن كثير رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، وقسم آخر يُفَسِّرون بالنظر، مثل: الزمخشري وغيره، وهؤلاء هم الذين يُخْشَى منهم؛ لأن المُفَسِّرين بالنظر قد يُحاولون أن يُوَجِّهوا كلام الله عَزَّوَجَلَّ إلى ما كانوا يعتقدونه، فنجد مَن يُفَسِّر قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] أي: جاء أمر ربك، ونجد مَن يُفَسِّر قوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، أي: نعمتاه، وما أشبه ذلك.

لا يجوز أخذ ما ترتب على الربا بأي حال

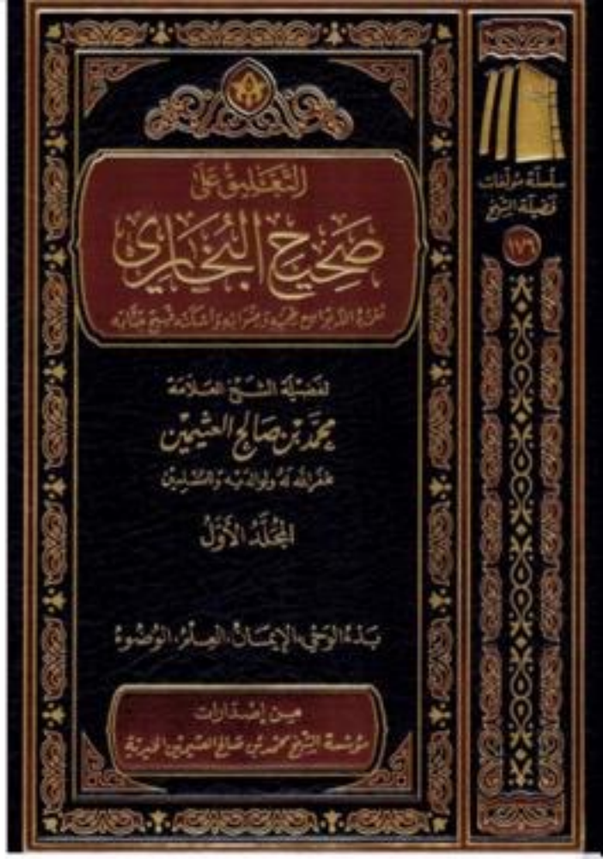


٩/ ٢١٨

[١] قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، أي: اعلموا أنكم محاربون لله ورسوله إذا لم تفعلوا، وهو ترك الربا.

ولهذا لا يجوز للإنسان أن يأخذ ما ترتَّب على الربا بأيِّ حال من الأحوال، فإن أخذه فقد آذَن بحرب من الله ورسوله، ولا فرق بين أن يكون هذا الذي أخذه من بنوك إسلامية أو غير إسلامية؛ وذلك لأن معاملتنا مع غير المسلمين يجب أن تكون بحسب الشرع؛ لأنهم إذا تحاكموا إلينا حكمنا بينهم بشرع الله، فكذلك إذا عاملناهم يجب أن تكون معاملتنا لهم على وفق الشرع.

حديث النفس على قسمين



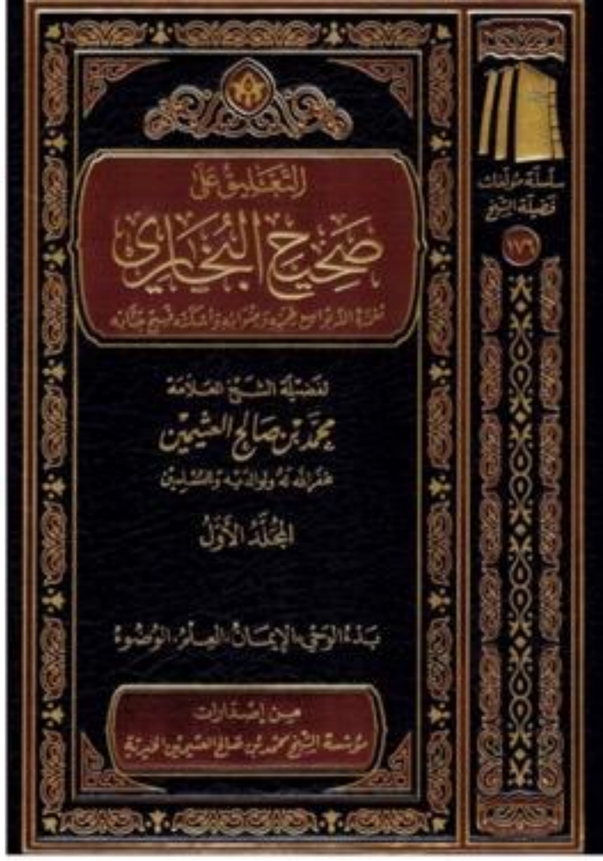
٢٢٧ /٩

واعلم أن ما في نفس الإنسان ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: مُجَرَّد حديث النفس الذي لا يُمكن التخلُّص منه، فهذا لا يُحاسَب عليه العبد؛ وذلك لأنه في غير وُسعه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

الثاني: حديث النفس الذي تطمئنُّ إليه النفس، لكن لا يُبديه الإنسان لغيره؛ إمَّا حياءً، وإمَّا خوفًا، ولكن نفسه مطمئنَّة به، فهذا يُحاسَب عليه.

أفضل الأدعية هي التي اختارها الله لنا



٩/ ٢٣٢

وقوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾، الإصر: هو العهد الثقيل، والإلزام الذي ألزم الله به بني إسرائيل، فإن الله تعالى ألزمهم ما فيه حرج ومشقة، فأنت تدعو بهذا الدعاء.

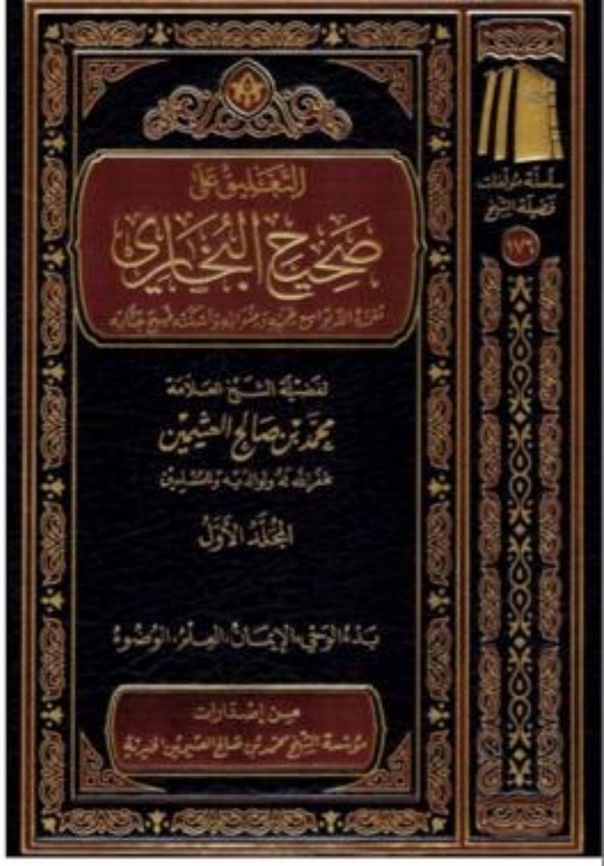
= واعلم أن هذا الدعاء وغيره ممَّا علَّمنا الله عَزَّوَجَلَّ من أفضل الأدعية، بل هو أفضلها وخيرها؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إنما اختار لنا ذلك؛ لعلمه أنه ممَّا تتعلَّق به حاجاتنا وضروراتنا، فإذا علَّمنا دعاءً فإنه أفضل الأدعية وخيرها، وينبغي أن نُحافظ عليه، والله تعالى قد علَّمنا هذا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ إلى آخر الآية.

وأخبرنا رسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أن الله تعالى قال: «قَدْ فَعَلْتُ»[1].

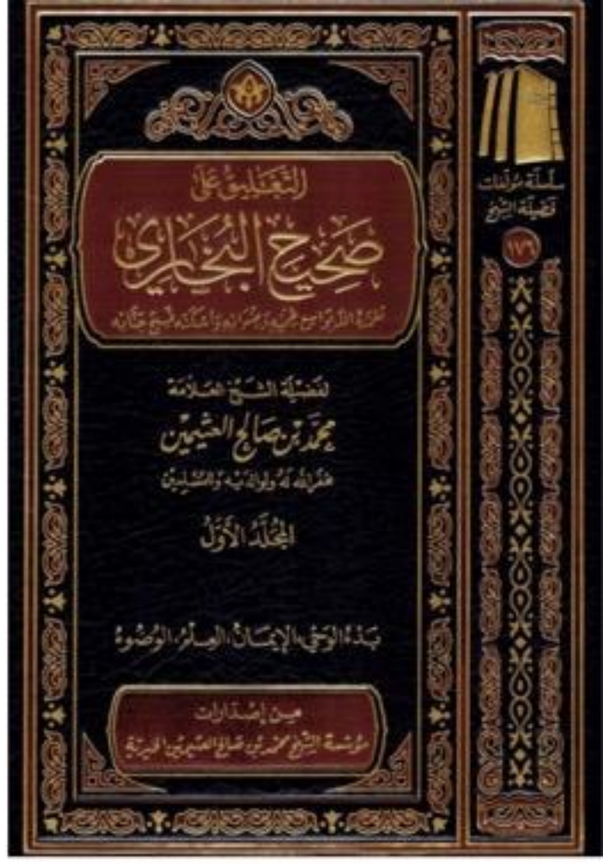
ورَفْعُ الخطإ والنسيان عن هذه الأمة هو من رفع الآصار والأغلال؛ لأن الأمم السابقة لا تُعْذَر بذلك.

من ثمرات تدبر القرآن

٢٤٣ /٩



وقد أمرنا الله عَزَّوَجَلَّ بأن نتدبَّر القرآن، قال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، فدلَّ هذا على أنه كلما حدث لك شبهة في آية من القرآن فَزِدْ من التدبر حتى يتبيَّن لك الأمر، ولابُدَّ أن يتبيَّن.



حكم الشفاعة في الحد

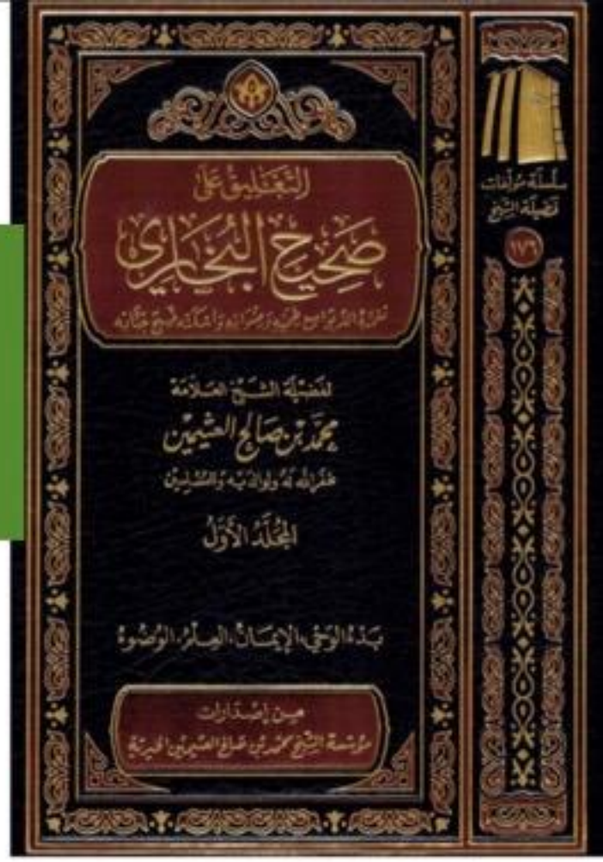
٩/ ٢٩٠

المسألة الثالثة: هل للإنسان أن يشفع في حد الزنا قبل أن يبلغ إلى ولي الأمر؟

نقول: الصحيح في هذه المسألة: أنه إذا كان فاعل ما يُوجِب الحد ممَّن عُرِفَ في ظاهره بالصلاح فإنه ينبغي الستر عليه، أمَّا إذا كان ممَّن عُرِفَ بالشر والفساد فإنه لا يجوز الستر عليه حتى لو لم تبلغ السلطان، لكن إذا بلغت السلطان صارت أعظم وأعظم، حتى إنه ورد في حديث لعن فاعله، وجاء في حديث رواه أبو داود بإسناد حسن: «مَنْ حَالَتْ شَفَاعَتُهُ دُونَ حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فَقَدْ ضَادَّ اللهَ فِي أَمْرِهِ»[1].

= والظاهر أن الشرطة يُعْتَبرون ولاةً، فإذا وصل الأمر إلى الشرطة فإنه يُعْتَبر واصلًا إلى ولي الأمر، فلا تجوز الشفاعة في هذه الحال؛ لأنه بلغ الأمر إلى أهله، والشرطة سُلَّم للتحقيق، لكن قبل أن تصل -كما لو فرضنا أن هذا الجاني علمنا به، لكن ما رفعناه إلى الشرطة ولا إلى غيرها- فهذا هو الذي فيه التفصيل.

صلة الرحم بالصدقة من أفضل الأعمال

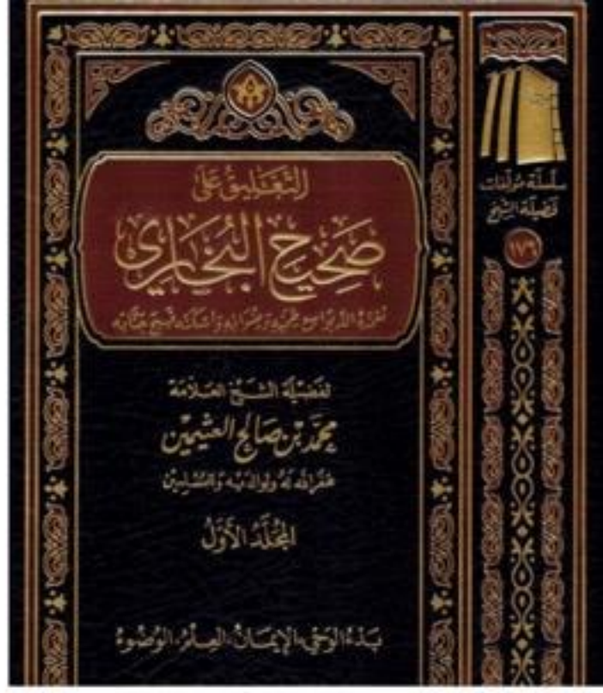


٩/ ٢٨٠

٣- أن صلة الرحم من أفضل الأعمال؛ ولهذا قال الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ**»، ولهذا إذا وُجِدَت الحاجة في الأقربين والأباعد فالأولى هم الأقربون؛ لأن الصدقة عليهم صدقة وصلة.

وكثير من الناس يرى أن الصدقة على الأقربين في مرتبة أقلَّ من الصدقة على الأباعد، وهذا ليس بصواب، فالصدقة على الأقارب من أصول وفروع وحواشٍ أفضل من الصدقة على الأباعد.

معنى قوله تعالى: (كنتم خير أمة)

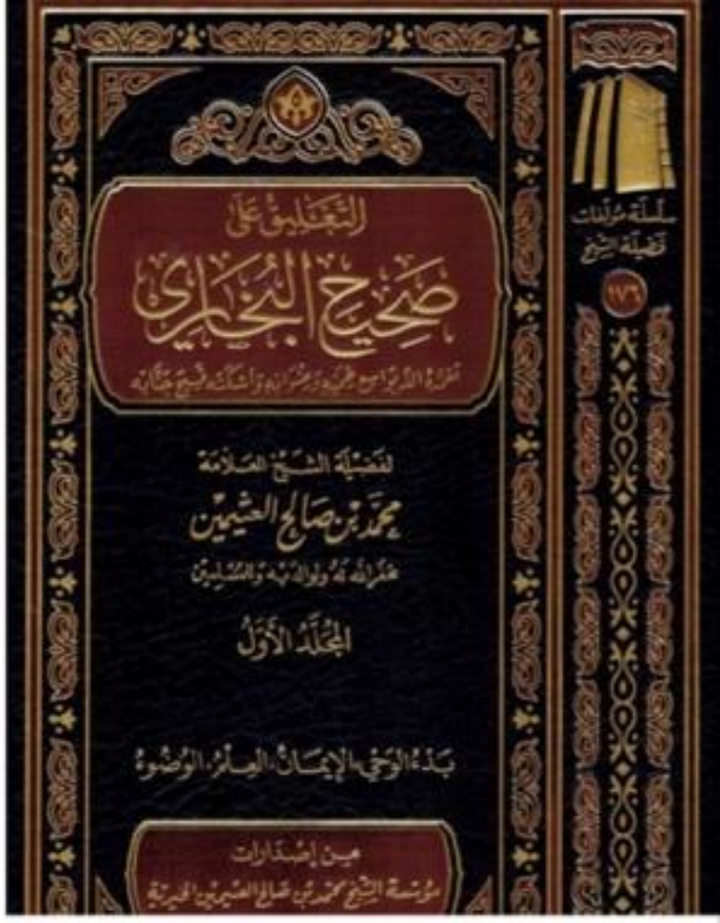


٩/ ٢٩٣

وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، قال بعض العلماء في مثل هذا التعبير: كُنتم في علم الله، أو في اللوح المحفوظ، ولا داعي لهذا التأويل؛ لأن «كان» قد يُراد بها اتِّصاف اسمها بخبرها مسلوبةً عن الزمان، ولهذا أمثلة كثيرة، مثل: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٠٠]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٧]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٥٨]، فليس المعنى: كان في زمن مضى، بل المعنى: أنه اتَّصف بذلك، فهي مثل: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨]، ولو قلنا: إن «كان» فعل ماضٍ لكانت تدلُّ على أن الله كان في الزمن السابق، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يزل ولا يزال غفورًا رحيمًا، ولم يزل ولا يزال عزيزًا حكيمًا، وهكذا.

وكذلك نقول في قوله هنا: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾، المعنى: أنكم اتَّصفتم بذلك، وكنتم خير أمة، ولا حاجة إلى أن نقول: كُنتم في علم الله، أو كُنتم في الكتابة في اللوح المحفوظ.

حكم لعن الكافر المعين



٩/ ٢٩٧

١ - أنه لا يجوز لعن المُعَيَّن، وهذا إذا كان حيًّا ظاهر جدًّا؛ لقوله: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد يتوب على هذا الإنسان، ويمنُّ عليه بالهداية، فإن كان ميتًا فهل يجوز لعنه إذا مات على الكفر؟

الجواب: هذا محل خلاف بين أهل العلم، فمنهم مَن قال بجواز لعنه؛ لأن العلة التي من أجلها نُهِيَ عنه زالت، وهي احتمال أن يتوب الله عَزَّوَجَلَّ عليه.

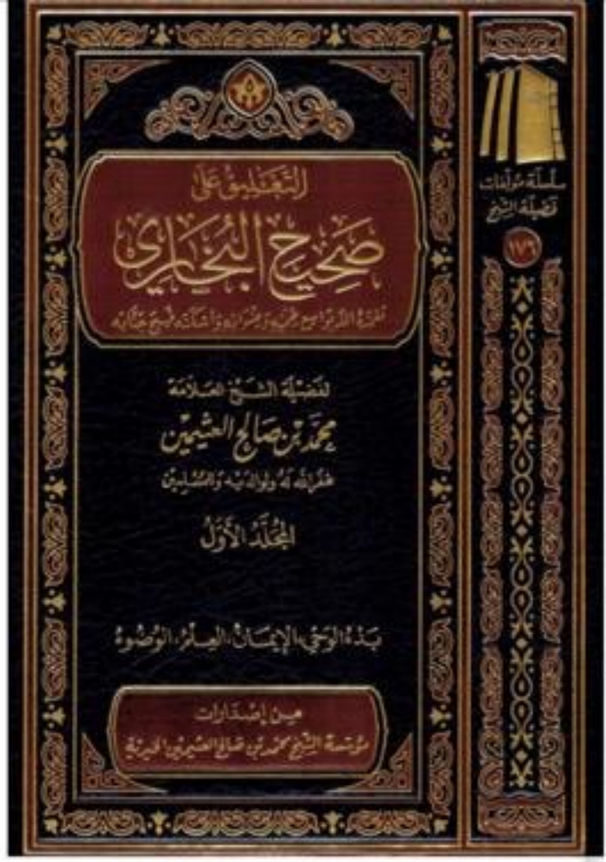
ومنهم مَن يقول: لا يجوز؛ لقول الرسول ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا إِلَى مَا قَدَّمُوا»[1]، ولأن هذا الرجل الذي مات على الكفر مستحقٌّ للعنة، سواء دعوت عليه أم لم تَدْعُ.

ولاشَكَّ أن عدم الدعاء عليه أفضل؛ لأن الإنسان دائر بين الإثم والسلامة، فهو غير مأمور بأن يدعو عليه، لكن إمَّا أنه سالم إن دعا أو أنه آثم، فما دام الأمر دائرًا بين هذا وهذا فالسلامة أسلم.

أمَّا لعن الكافرين عمومًا فإن هذا لا بأس به، وكان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقنت، ويلعن الكفرة عمومًا، فيقول: «اللهم العن الكفرة»[2]؛ لأنه لا يخصُّ أحدًا مُعَيَّنًا.

تسمية سور القرآن توقيفية

٩/ ٣٣٥



فإن قال قائل: وهل تسمية السور توقيفية؟

فالجواب: هذا هو الظاهر، لكن بعضها من الرسول ﷺ، وبعضها من الصحابة ومَن بعدهم؛ ولهذا تجد بعض السور لها عدَّة أسماء.